

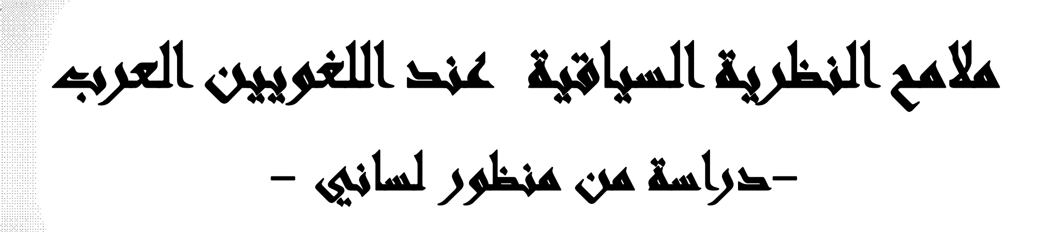
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب و اللغات

قسم الأدب العربي





ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب

-دراسة من منظور لساني -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

.تخصص: علوم اللسان العربي.

إعداد الطالبة: نعيمة بن ترابو

إشراف الدكتور: عمــار شلواي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الهيئة
محمد خــان	أستــاذ	بسكرة	رئيســا
عمــار شلواي	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	مشرفا ومقررا
صلاح الدين مـلاوي	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	عضوا مناقشا
محمد بوعمـامة	أستاذ محاضر"أ"	باتنـة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1430 – 1431هـ

2009 – 2010 م

تعدُ اللسـانيات مـن أهـم العلـوم الإنسـانية الحديثـة التـي شـهدت تطـوّرا كبيـرا فـي المبـادئ والمصـطلحات خـلال الرّبـع الأخيـر مـن القـرن العشـرين، انطلاقـا مـن أفكـار رائـدها الأوّل "فردينان دي سوسير"، و قد كانت أفكاره سببا أساسيا في تغيير مسار هذا العلم بعد ما كان محصورا في دائرة الدّراسات التقليدية، واكتسىٰ بفضلها صبغة علمية، و نظرة وصفية ، كما اتسمت الدراسـات اللغويـة بالتنـوع مـن صوتيـة و تركيبيـة ،صـرفية، مورفولوجيـة و دلاليـة، وبهذا التنوع تعددت اتجاهات الدراسة اللغويـة هذا بالإضـافة إلـى اتصـال المشتغلين باللغة ببعض العلوم الإنسانية ، كعلم الاجتمـاع و علم النفس و الفلسفة ، فأدى هذا إلـى ظهور فـروع جديـدة للسـانيات مثـل : اللسـانيات النفسـية واللسـانيات الاجتماعيـة، و اللسـانيات التداوليـة، حيث ظهرت هذه الأخيرة كرد فعل علـى اللسانيات الوصفية التـي أقصت من دراستها الجانب الحـي فـي اللغـة ، و هـو الاستعمال الفعلـي للغـة المتمثـل فـي الكـلام و مـا يحيط بـه مـن ملابسـات داخليـة أو خارجيـة و هـذا مـا دعـا البـاحثين و الدارسين لتطـوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطارها الاجتماعي مما استدعى إلى دراسـة السياق الذي يجري فيـه التلفظ بالخطـاب، و هنـا بـرزت مدرسـة فيرث اللسـانية ، التـي تعددت مصـطلحات وَسْمِهَا بتعدّد روادهـا و أتباعهـا مـن "المدرسـة السياقية" إلـى "المدرسـة الانجليزية و الاجتماعية "إلى "مدرسة لندن"، و التي كان المحور الأول لها هو السياق، ومن ثـم عُرفـت بالنظريـة السـياقية و هـذا يعنـي أن هـذه الدراسـات اللغويـة تنحـو منحـى الاتجـاه التواصلي الذي يهتم بدراسة اللغة في إطارها السياقي، عكس الاتجاه الشكلي (المحصور في اللسانيات الرياضية الصـارمة)، إلاّ أنّ جملـة من الإطّلاعات الدّراسية للتراث العربـي، كانت تحيل وبصورة تلقائية إلى حيثيات الدّرس اللغوي الحديث.

وبنـاء عليـه اتضـح لنـا أنّ للنظريـة السّياقية ملامـح بـارزة فـي تراثنـا اللغـوي، فهـي نقطـة البدايـة لهذه النظريـة . السياقية . و ما فيها من أفكار، و التي كانت بمثابة أدوات تعيننا علـى إضـاءة تلـك الأصـول العربيـة المخزونـة فـي مظـان تراثنـا اللغـوي لنعمـل علـى إبـراز تلـك الملامح، و تساعدنا على جمع تلك العناصر المتفرقة هنا و هناك في كتب النحو و البلاغة ، فكان عنوان هذا البحث " ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني ".

فاللغويون العرب عندما يهتمون باللغة و بصحة الكلام و جودة التركيب إنما يهتمون باللفظة و مادتها اللغوية بصفة عامة، و بمعانيها و محاولة إعطائها بعدها
في النص، و الكشف عن ما يحيط بها من ظلال يُفادُ من بعضها ويترك ما ليس مفيدا منها استنادا إلى ما يحيط بالنص من مواقف من جهة خاصة، فالوصول إلى المعنى أبعد من فهم دلالة اللفظة منعزلة (معجميا)، و إنما يكون بارتباطها فيما بينها، فبذلك تحرز التكامل و تحقق الدلالة المرجوة، انطلاقا من ذلك كان اهتمام النحاة ينصب حول المقال و أصوله التركيبية في إطار الحرص على و ضع قواعد للغة أو في الحكم على ما يجوز و ما لا يجوز من التراكيب و ما يفيد في فهمها و تعلمها، متجاوزين ذلك في بعض الأحيان إلى وصف المواقف، لتتصف دراستهم بالتجريد في سبيل الوصول إلى القاعدة أما علماء البلاغة فقد اهتموا أكثر بالمقام منطلقين من التراكيب و صولا إلى المعنى المستفاد من مقتضيات المقام و إدراك جماليات هذه التراكيب و تحديد أغراضها .

و من المسوغات التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو رغبتنا في إبراز دور اللغويين العرب في وضع اللبنات الأولى لهذه النظرية المنسوبة إلى فيرث، هذا بالإضافة إلى قلة الدراسات المستقلة التي تتناول هذه الملامح عند اللغويين العرب و إن وجدت بشكل عام فقد أهملت من هذه الدراسة العديد من الجوانب مثل الدراسة التي قدمها عبد النعيم خليل تحت عنوان " النظرية السياقية بين القدماء و المحدثين "، هذا بالإضافة إلى وفرة المصادر و المراجع التي تخدم فكرة البحث سواء في مفهومها القديم أم الحديث فكان هدفنا الأول من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جهود العرب في وضع جملة من القوانين الهامة المتعلقة بالنظرية السياقية، وذلك في سبيل محاولة تقديم تأريخ موضوعي لنظرية السياق عند اللغويين العرب، مع إلقاء الضوء على الجهود العظيمة التي قدمها علماء النحو و البلاغة مع إبراز مواطن الالتقاء بين الدرسين، وجل ما نبتغيه هو تقديم هذه النظرية بحلة تتسم بالترتيب و الدقة و الأمثلة مع تسليط الضوء على جهود اللغويين العرب .

انطلاقا من هذا التّصوّر المتوصل إليه، وبغرض الكشف عن حقيقته المدركة فعلا، وجب علينا تحديد مواضع الالتقاء بين الدّرس اللغوي الحديث –النظرية السّياقية – والدّرس اللغوي العربي القديم، و من أجل تحقيق ذلك، كان لا بد لنا من الإجابة عن الإشكال الآتي:

ما أوجه المطابقة بين أطروحات النظرية السياقية و منجزات الدّرس اللغوي العربي القديم؟ و بمعنىً آخر: ما القواسم المشتركة بين الدّرسين؟

وللظفر بمفاتيح الإجابة عن هذا التساؤل، ارتأينا عرض مضامين كلّ من الدّرسين- القديم و الحديث- حتى يتسنىٰ لنا بعد ذلك عقد مقارنة بينهما، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، عُقِدَت فصول هذه المذكرة حسب خطة يتصدّرها مدخل يتضمن تحديد المصطلحات، تناولنا فيه: السياق في اللغة و الاصطلاح، و أقسام السياق، و أخيرا عناصر السياق.

و بعد المدخل يأتي الفصل الأول الموسوم بـ : ملامح السياق في الدرس اللغوي القديم، الذي يتطرق لمضامين النظرية السّياقية في التراث العربي، بداية بالبلاغة العربية وعلاقتها بمقام المقال، فقواعد النحو العربي وعلاقتها بالموقف الكلامي، بحيث اخترنا نماذج من كل علم، فكان أن أشرنا في البلاغة إلى كل من: بشر بن المعتمر و الجاحظ و ابن قتيبة و عبد القاهر الجرجاني و السكاكي. أما في النحو فكان اختيارنا ينصب حول سيبويه و ابن الأنباري و ابن جني وأخيرا ابن هشام .

ويلي ذلك الفصل الثاني المعنون بـ : النظرية السياقية في الدرس اللغوي الحديث، الذي يتناول النظرية السّياقية وأهم أطروحاتها في الدرس اللغوي الحديث، انطلاقا من عرض مجهودات أهم روادها، و مبادئها بعد التعريف بواضع هذه المبادئ، ومؤسس هذه النظرية، ونقصد بذلك "جون فيرث"، لنصل إلى الأسس الإجرائية للنظرية والمتمثّلة في: المكوّن الاجتماعي، التحليل اللغوي، القواعد النظامية، و بعد ذلك انتقلنا إلى تلامذة فيرث من العرب و خصصنا القول عن كل من: كمال بشر و محمود السعران و تمام حسان .

و الفصل الثالث الموسوم بـ : معالم الالتقاء بين أطروحات النظرية السياقية و التراث العربي، والذي يعتبر بمثابة دمج للفصلين السابقين، بحكم أنّه يتناول المطابقة بين ما جاء في كلا الدّرسين، وفق ما يلي:

- المكوّن الاجتماعي "المقام".
- العلاقات الموقفية والبلاغة العربية.
- السياق اللغوي و التراث اللغوي العربي ممثلا في: العلاقات الداخلية بشقيّها الأفقي -العلاقات الرّكنية-، والعمودي-العلاقات الاستدلالية-، ومطابقتهما بما قاله القدماء حول مبدأ التعليق، ومبدأ التخيير، على الترتيب.

وقد ارْتَأَيْنَا خلال عملية الترتيب تقديم العلاقات الموقفية على العلاقات الداخلية لربط عناصر الفصل فيما بينها.

– القواعد النظامية ونظرية النّظم.

لتأتي بعد ذلك خاتمة البحث لتحمل مجموعة النتائج المتوصل إليها.

وبعد تحديد خطة سير بحثنا هذا، يتضح أنّ المنهج الذي قادنا إلى مفاتيح الإجابة عن التساؤل السابق، المزاوجة بين عدة مناهج و هي: المنهج التاريخي و المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التقابلي؛ لأن طبيعة الدراسة تقتضي ذلك.

و في سبيل إعداد هذا البحث بدأنا نقلب البصر في رفوف المكتبات بحثا عن وسائل تعيننا فكان أن اهتدينا بفضل الله إلى الإمساك بطرف خيط البداية، فكانت لنا بعض المصادر نبراسا منيرا أنار درب هذا العمل نذكر منها: الخصائص لابن جني، و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للجرجاني، والكتاب لسيبويه، و مغني اللبيب لابن هشام ...هذا بالإضافة إلى مجموعة من المراجع العربية و المترجمة مثل: اللغة العربية، معناها و مبناها لتمام حسان وعلم اللغة، مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران، و اللغة و المعنى و السياق لجون لاينز، و دور الكلمة لستيفن أولمان ...إلخ، أضف إلى ذلك بعض الرسائل الجامعية و مواقع الأنترنيت. و لولا هذه الدّرر الثمينة، لما وصل البحث إلى صفحاته الأخيرة، ولما انتقلت آراء أصحابه من دائرة الشّك إلى فلك اليقين.

و بالإضافة إلى أنّ الفضل كان لتلك الدّرر في إدراك اليقين المنشود، فإنّه كان كذلك نتيجة للرّغبة الجامحة في تحققيه، هذه الرّغبة التي كانت تقف حائلا بيننا وبين الصعوبات التي تصادفنا أثناء آداء مهمّة الإعداد لهذا البحث وفي مقدّمتها:

– التعامل مع أفكار تجريدية بحتة، تعتمد على التركيز الشديد، والفهم الدقيق، ولا تعتمد على مبدأ الملاحظة الحسّية، والتطبيق التجريبي، هذا ما أدىٰ إلى تعديل مضامين صفحات هذا البحث كم من مرة بتوجيه من طرف المشرف.

– الطابع الموسوعي للدّرس اللغوي العربي القديم، القائم على مبدأ عدم التخصيص، وهذا ما أدّىٰ إلى صعوبة السّيطرة على هذه المادة أوّلا، وصعوبة تحريرها في عدد محدود من الصفحات وفق منهج علمي دقيق ثانيا.

- الحصول على بعض أمّهات الكتب، وبعض المؤلفات الأخرىٰ، لَمْ يتأت إلاّ بالتّنقل إلى مرافق ثقافية، فالظّفر بهذه المصادر والمراجع لا يتحقق دائما.

و ما نقره أن عملنا هذا لم يستوف كل أصول النظرية و ملامحها في تراثنا اللغوي لما لها من زخم كبير من الأفكار و الاتجاهات، و لكل عمل نقص كما قال الأصفهاني :" إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غيرت هذا لكان أفضل، و لو تركت هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"[1]. ما زال الموضوع غنيا بأفكار تحتاج إلى البحث و أهيب بكل من يوجهني إلى مواطن الزلل .

وختاما، نحمد الله عزّ وجلّ على كل شيء، وخاصة على نعمة العلم التي منّ بها علينا، دون أن ننسىٰ توجيه جزيل الشكر وخالص الامتنان والعرفان، إلى الأستاذ المشرف الدكتور: **عمــار شلواي** الذي دعم مسيرة هذا البحث بالنصح والإرشاد والمساعدة، فكان بذلك خير معين، ونِعْمَ المرشد.

[1] ـ كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، جريدة المقطم ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2002 ، ص ز .

تعريف السيـــاق:

1. السياق لغــة:

أ. السياق في المعاجم العربية:

اشتقت لفظة السياق من مادة (س و ق) يقـال:" سـاق المريض سوقا و سياقا ، و سيـاقة، و مساقا: شرع في نزع الروح (...) و يقال: ساق الله إليه خيرا و نحوه: بعثه وأرسله، وساقت الريح التراب والسحاب، رفعته وطيرته. وساق الحديث: سرده وسلسله. وإليك يساق الحديث: يوجه. والمهر إلى المرأة: أرسله وحمله إليها(...) السياق: المهر. و سياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والنزع يقال: هو في السيـاق: الاحتضار "[1].

" والسياق مهر المرأة، قيل له ذلك؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا "[2].

ويرى ابن فارس أن " السين والواو والقاف أصل واحد حُدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقا، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتـي صداقهـا، وأسقتـه، والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[3].

وقال الزمخشري: "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق"وإليك سياق الحديث "وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده"[4].

وورد في لسان العرب:" السوق: معروف، ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة (...) وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنُزًا ما تساوق، أي ما تتابع.والمساوقة المتابعة كان بعضها يسوق بعضا(...).

وساق إليها الصداق والمهر سياقا و أساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق (...) وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت.

تقول رأيت فلان يسوق سوواقا؛ أي ينزع نزعا عند الموت "[1].

---

[1] . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع الأوقست، القاهرة، ط3، 1985 م، ج1، ص482 .

[2] . لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ط21، 1973 م، ص365،363.

[3] . ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج3، ص117.

[4] . الزمخشري، (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 م، ج1، ص484.

ونستخلص مما سبق أن" القاسم المشترك بين هذه المعاني جميعها في هذه المعاجم لكلمة " السياق " هو التتابع والسير والملاءمة والاتفاق والنظم، وقد رأينا منها ما يؤدي هذا المعنى مباشرة دون تأويل أو مشابهة "[2].

ب . السيـاق في المعاجم الأجنبية:

ويقابل هذا المصطلح في اللغة الأجنبية (contexte)، الذي يتكون من مقطعين -cont texte؛ أي مع النسج، استعمل المصطلح أولا ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم استعمل بعد ذلك في معنى النص؛ أي تلك المجموعة من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مسموعة، ثم أصبح المصطلح، يعني ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغويـة"[3].

ويعد مصطلح السياق في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة (sémantique) تماسكا وضبطا منهجيا.[4]

وقد عرفه" كمال بشر في "دور الكلمة" بأنه" النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"[5]، ثم علق على هذا التعريف بقوله: " السياق– على هذا التفسير ينبغي أن يشمل– لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب– بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل– بوجه من الوجوه– كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات.والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها أهميتها البالغة في هذا الشأن"[6].

" والمقصود بالسياق التوالي ومن ثم يمكن أن ننظر أليه من زاويتين:

---

[1] . ابن منظور (أبي الفض جمال الدين محمد بن مكرم)، لســان العرب، دار صــادر، بيروت، لبنـان، ط1، 1997 م، مادة (س و ق)، ج3، ص 369.

[2] . عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية، دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007 م، ص26، 27.

[3] . كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، جريدة المقطم، القاهرة، مصر، ط3، 2001 م، ص251.

[4] . ينظر: محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور النظرية في التوصل إلى المعنى، ص1. http//www.chihab.net

[5] . استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 1997 م، ص68.

[6] . المرجع السابق، ص68.

أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق " سياق النص".

والثانية: توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام. وعندئذ نسمي السياق " سياق الموقف"[1].

أقسام السياق (أنواعه): ينقسم السياق إلىّ قسمين :

1/السيـاق اللغوي:

أدرك اللغويون أن " لهذا النوع أثرا في تغيير دلالة الكلمة نتيجة لتغيير في التركيب الذي وقعت فيه، كالتقديم والتأخير، وهي التي تسمى الرتبة."[2] ويشمل على العناصر الآتية:

-"الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك .

- طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

- طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي.

وظواهر هذا الأداء المصاحبة المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية."[3]

إذن " السياق اللغوي " هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة أو بنيـة النص وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية "[4] يعرفه تمام حسان بقوله: "سياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية (نحوية أو معجمية) أو دلالية (قوامها العلاقات النصية)"[5].

سياق اللفظ ← نحوي سياق النص (اللغوي) ← سياق الدلالة

معجمي ↖ ↙ تفسير النص بالنص

---

[1] . تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهر ة، ط1، 2007 م، ص237.

[2] . يحيى عبابنة، آمنة الزغبي، علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، أربد، الأردن، 2005 م، ص96.

[3] . محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، ص06.

[4] . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002 م، ص542.

[5] . تمام حسان ، اجتهادات لغوية، ص237 .

ويقع هذا النوع من السياق في حالة ما إذا وردت الكلمة الواحدة في عدد من الجمل، فتحمل في كل جملة معنى مغاير لمعانيها في سائر الجمل الأخرى، ويمكن التمثيل لذلك بكلمة " يد" إذ نلاحظ اختلاف معناها باختلاف السياق اللغوي الذي وردت فيه كما يلي:

-قال الله تعالى: "يد الله فوق أيديهم "[1] تعني القوة و القدرة.

-قال تعالى: "حتى يعطوا الجزية عن يدٍ "[2] تعني بدون واسطة .

-وفي قولنا :"له علينا يد" تعني الفضل والتكرم.

-وقولنا: " هذا رجل طويل اليد" تعني الكرم.

"وهذا فضلا عن اليد المعروفة التي هي عضو من أعضاء جسد الإنسان، فاختلاف معنى كلمة "يد" في كل جملة من الأمثلة السابقة يعود بالدرجة الأولى إلى اختلاف السياق اللغوي لكل منها. والعودة إلى المعاجم اللغوية في مثل هذه الحالات قد لا تعود بالفائدة"[3] وبذلك صرح فيرث بأن "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة"[4].

ويشتمل السياق اللغوي على مكونات أساسية هي:

أ/السياق الصوتي: يتمثل السياق الصوتي في" النظم اللفظي للصوت في إطار الأصوات الأخرى، على مستوى الكلمة أو الجملة والتحليل الفونولوجي يوضح لنا طبيعة هذا السياق وحدوده"[5].

وتظم وحدات التحليل الفونيم phonème، والتنغيم والنبر"لذا فإن الفونيم يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل منظومة السياق على وفق محتواها الوظيفي: قال، كال، نام، صام، حام، هام، ..."[6]. ومن هذا المنطلق نصل إلى أنه " ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق، الذي يعتبر المكان الآمن الذي تؤدي فيه الفونيمات أدوارها الوظيفية

---

1 . سورة الفتح،الآية: 10 .

2 . سورة التوبة، الآية: 29.

3 . محمد محمد سعد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2002 م، ص40، 41.

4 . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة ، دار الصفاء ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2002 م، ص543.

5 . عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص 38.

6 . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص543،542.

الدلالية للكلمات، أما قرائن الصوت ذات الدلالة السياقية فتكمن في الفونيمات فوق التركيبية والصوائت"[1]، وهذا ما أدركه العرب فقد أجازوا مثلا:" حذف همزة الاستفهام إذا فهم المعنى ودل عليه دليل"[2].

ب/ السياق الصرفي:

يضم السياق الصرفي الصيغة الوظيفية + معنى الزوائد أو اللواحق.

" فالمورفيمات، سواء كانت حرة أو مقيدة أو محايدة لا قيمة لها، إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين، ومثلها أحرف المضارعة، وسواها، فالبناء الصرفي يقود إلى دقة الانتساب للباب، ولكن هذا خارج نطاق السياق الصرفي الذي يتكون من المورفيمات وهي تمارس وظيفتها داخل النص."[3]

ج/ السياق النحوي:

يمكننا تعريف السياق النحوي بأنه " شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية، مثل (الإعراب)، وهو قرينة سياقية، تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية، وقد عده النحاة القدامى أصلا وأساسا لبيان الدلالة، وأنه كل النحو، والقرينة السياقية الكبرى "[4].

ودراسة السياق النحوي تقوم على أسس هي:

"–دراسة القواعد المنظمة لترتيب الكلمات في الجملة من حيث التقديم والتأخير والزيادة والحذف.

–دراسة ما يسمى بالتوافق والمخالفة بين الكلمات في الجملة كدراسة العلاقة بين المبتدأ والخبر، وبين الصفة والموصوف مثلا.

–دراسة ما يسمى بالظواهر الإعرابية من حيث الإعراب و البناء ".[5]

ج/ السياق المعجمي:

---

[1] . المرجع نفسه،ص553 .

[2] . المرجع نفسه، ص545 .

[3] . المرجع نفسه، ص546.

[4] . المرجع السابق ، ص556 .

[5] . عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص69 .

يتمثل السياق المعجمي في" مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين، يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة، هذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب، ونحن لا نقصد معنى المفردة لوحدها داخل السياق وإنما مجتمعة مع دلالات الوحدات الأخرى المكونة "[1]، ويمكننا أن نمثل للعلاقات الأفقيـة (syntagmatic retations) والعلاقـات الجدولية الاستبدالية (pradigatic relations) بالأمثلة التالية:

"أمثلة العلاقات الأفقية:

- قام بواجبه.
- شجرة باسقة.
- كتاب قيم.
- علم الدلالة.

2 – أمثلة العلاقات الجدولية:

– جلس الطالب على الكرسي.
– جلس الأستاذ على الكرسي.
– جلس المدير على الكرسي.

وعلى هذا فالعلاقات بين (قام) و(واجب) أفقية، وكذا بين (شجرة) و (باسقة) وبين(كتاب) و(قيم) وكذا بين (علم) و(الدلالة)، أما العلاقات الجدولية فتجدها بين الكلمات التي يصلح استخدامها في الموقع نفسه في الجملة الواحدة، وهي كلمـات: الطـالب، الأستاذ، المدير"[2].

د/ السياق الأسلوبي:

هذا النوع من السياق "يظهر في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللغة العادية، لما يمتلكه من قوة النسيج، وجدارة البناء، وقوة التوالد الدلالي، لأنه ملك الفرد ذاته، ومن حقه أن

[1] . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص546 ، 547 .

[2] . محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998 م، ص159، 160.

يمارس طاقته الإبداعية والإنتاجية في خلق أجيال جديدة من التراكيب التي تنهض على مستوى فني عالي النسيج"[1].

فنجد الشاعر مثلا" يعمد إلى طريقة التشخيص التي تخلع الصفات والمشاعر الإنسانيـة على الأشياء المادية، فأحيانا يجسد المعنوي في صورة محسوسة وأحيانا يشخص المـادي ذاته، ويضيف له وظائف غير وظائفه، كما أنه، في سياقات أخرى، يعمد إلى تقريب الصفات المتباعدة، وإيقاع اللاتناسب بين الصفة والموصوف (...)فإدراك معاني هذه العبارات يقتضي إدراك القرائن الحائلة دون إرادة المعنى الأصلي، ثم محاولة الولوج إلى الدلالات الخفية لها، وربط دلالات التوظيف الحقيقي بالدلالات الإيحائية الجديدة "[2].

2/السياق الخارجي:(situational context)

هذا النوع من السياق "يمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالبحث اللغوي أو النص ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضا."[3]وحسب رأي تمام حسان أن "إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي(الصوتي والصرفي والنحوي) لا يعطينا إلا المعنى الحرفي، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي"[4]. وفكرة" سياق الموقف " إذن " تنظر إلى المعنى من خلال إطار منهجي قائم على تحليل المعنى الذي يتركب من مجموعة من الوظائف اللغوية والاجتماعية ."[5]

"ويطلق سياق الحال في هذا المقام على أكثر من مصطلح فهو: سياق الحال، كما أنه أيضـا مقتضى الحال، والمقـام والمسرح اللغوي، والمجريـات أو سياق الموقف، و تقف هذه المصطلحات جميعها في مقابل مصطلح سياق المقال أو سياق مكونات النص."[6] ولعل سبب اهتمام اللغويين بالموقف هو أنهم "لا يرون اللغة وسيلة للاتصال فقط؛ بل هي نوع من

---

[1] . عبد النعيم خليل، علم اللسانيات الحديثة، ص547.

[2] . عالية قري ، البنى الإفرادية والتركيبية وأثرها في بناء الدلالة الكلية عند "أحمد عبد المعطي حجازي" من خلال ديوانه" مدينة بلا قلب ". رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها إشراف: لخضر بلخير ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ، 2006م/2007 م، ص249.

[3] . عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القداماء والمحدثين، ص 547.

[4] . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004 م، ص337 .

[5] . عالية قري، البنى الإفرادية والتركيبية وأثرها في بناء الدلالة الكلية عند"لأحمد عبد المعطي حجازي من خلال ديوانه " مدينة بلا قلب"، ص 256.

[6] . يحيى عبابنة، آمنة الزغبي، علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، ص37.

السلوك وضرب من العمل ولذا وجدنا الأنثربولوجي البولندي مالينوفكسي Mallionwsk يقرر أن السياق والمـوقف مرتبطان ببعضهما، واستعمل مصطلح سياق الموقف"[1].

وهذا ما يؤكده تمام حسان في تعريفه لسياق المـوقف بأنه " إمـا أن يكون ذا دلالـة واقعية أو ذهنية، فالواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ، أو مواقع الجغرافيا، أو العلاقات العلمية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام، أما الذهنية فإنها تنشأ عن تداعي المعان بحيث يثير بعضها بعضا في تسلسل منطقي (طبيعي لا صوري)"[2].

وهو ما نجده كذلك في رأي رائد نظرية السياق الذي بأن سياق الموقف" مصطلح واسع لا يقتصر على السياقات اللغوية بل يشمل أيضا السياق الثقافي، وأقوال المتخاطبين وغير المتخاطبين وأفعالهم وكل الأشياء المتصلة اتصالا وثيقا بالمقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي، وقد ذهب جيفري الزالي إلى أن مفهوم سياق الموقف كان من أهم إسهامات فيرث في نظريته السياقية"[3]، ويضم السياق غير اللغوي عند فيرث ثلاثة أقسام من السياق وهي: السياق العاطفي والسياق الثقافي وسياق الموقف.

أ/السياق العاطفي :

وهو " ذلك الجانب أو المستوى من المعنى الذي يعبر عن شعور المتكلم أو اتجاهه أو رأيه، نحو أمد ما في سياق معين، فعندما نقول فلانا جبان أو أنه يخاف فإن المعنى في الحالتين يتضمن صفة الخوف أو الجبن، ولكن الجملة الأولى تحمل في طياتها درجة من الاحتقار و الإهانة، أشد مما يحتمله المعنى في الجملة الثانية"[4]، والسياق العاطفي هو الذي يحدد " درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا"[5]، ودرجة الانفعال العاطفي هذه "تخضع إلى مقاييس تصنفها حسب القوة والضعف، مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال (...)إن الكلمة توقض في الذهن شحنة يحددها السياق، وهو فردي يتعلق بحالات نفسية متباينة(العشق، الهيام، الوله، الوجد، الحب)

---

1. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص 251 .
2. تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص 237.
3. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م، ص 31.
4. شحدة فارع، موسى عمايرة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل، عمان، ط1، 2000 م، ص184.
5. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص70.

وسواها عامة الدلالة حتى يكشف السياق العاطفي عن مكنوناتها بواسطة قرائن عن طريق الجريان والتحول المصاحب"[1].

ونورد على سبيل المثال " الفعل يفعل(يحب) والفعل (يعشق) فمع اتحادهما في أصل المعنى، إلا أننا نلاحظ فرقا معنويا بينهما في درجة المودة والتقارب النفسي، وهذا الفارق المعنوي بينهما هو الذي يعبر عنه بالسياق العاطفي"[2].

ب/ **السياق الثقافي:**

يحدد هذا السياق " درجة المحيط الذي تعيش بداخله الوحدات المستعملة وغالبا ما يكون المحيط اجتماعيا. "[3] وفيه "لا بد من تحديد نوع المجتمع اللغوي الذي تقال فيه الكلمة، من حيث المهنة، أو درجة الثقافة، أو اختلاف اللهجات(...)، أما من حيث ثقافة المتكلمين، فإن كل جماعة تنتمي إلى مستوى ثقافي واحد على ألفاظ دون غيرها من المستويات الثقافية الأخرى."[4] و مثال ذلك كلمة "جذر" لها معنى عند المزارع ومعنى ثاني عند اللغوي ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات....إلخ.

ج/**سياق الموقف:**

من المسلم به أن" العلاقة بين المفردة والسياق علاقة تكاملية، فالمفردة تكون السياق، والسياق يوجه معنى المفردة، وبذلك يتحكم كل واحد منهما في الآخر."[5] وكذا " أطراف الموقف الكلامي تؤثر في تحديد المعنى، فسؤال الأستاذ للتلميذ للاختبار والتقييم، أما سؤال التلميذ للأستاذ فهو للاستفادة وإزالة الجهل، وأيضا الموقف الذي يقع فيه الحدث الكلامي له اعتبار مهم في تحديد المعنى، فعبارة " السلام عليكم" تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحول إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يحتد النقاش بين شخصين وييأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبا وهو يقول " السلام عليكم " فالمقام هنا يصرف معناها من

---

[1] . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص549،550.

[2] . محمد سعد محمد، في علم الدلالة، ص43.

[3] . عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص551.

[4] . محمد سعد محمد، في علم الدلالة، ص44.

[5]. صائل رشدي، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004 م، ص15.

كونها تحية إسلامية ..."[1] ونجد البلاغيين القدماء أجملوا القول في سياق الموقف بمقولتهم المشهورة " لكل مقام مقال ".

وهناك من الدارسين من أضاف قسما رابعا إلى هذه الأقسام وهو " السياق الاجتماعي" فيرى محمود فهمي حجازي أن" دراسة الكلمة أو العبارة أو التركيب في الموقف الاجتماعي أمر متعدد الجوانب ولا بد من أن تضع الدراسة العناصر المختلفة المحددة لطبيعة هذا الموقف وفي مقدمتها:

أ- الزمن (وقت العمل ، وقت الراحة الأسبوعية ، وقت العطلة الصيفية...).

ب- المكان (مكان العمل، منزل، نادي، مدرسة، قطار... الخ).

ج . مكانة المتحدث (الوظيفة، الثروة، العمر... الخ).

د . مكانة المخاطب (الوظيفة ،الثروة ، العمر...الخ).

هـ . العلاقة بينها (رسمية ، صداقة ،قرابة ، عدم معرفة ...).

و . الموضوع (موضوع العمل، موضوع شخصي، موضوع سياسي...).

ز . العناصر المادية المحيطة بالموقف (المنظر الطبيعي، المنزل).

ح . المعرفة السابقة لما دار (الموضوع جديد، استكمال، موضوع قديم...)[2].

وما تجدر الإشارة إليه بعد هذا العرض لأنواع السياق أن هذا التقسيم مختلف فيه لدى اللغويين و الدارسين، فهناك من يقسمه إلى أربعة أقسام (سياق لغوي و سياق عاطفي ، وسيـاق الموقف و السياق الثقافي)، وفي المقابل هناك فريق يحصره في ثلاثة أنواع (لغوي وعاطفي و ثقافي).ومهما يكن من اختلاف فهو لا يمس إلا الشكل الخارجي و يتفق في المفاهيم العامة.

وخلاصة القول إن الاهتمام بالمقام أو" سياق الحال " بالإضافة إلى سياق اللفظ ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق، لأن الكلمة إذا أخذت منعزلة عن السياقين اللفظي و الحالي لا معنى لها ولا قيمة، أو هي محتملة لصنوف من المعاني (...) المقال وحده لا يكون محدد الدلالة إلا بمعونة مقامه أي الشق الاجتماعي المصاحب له".[3]

---

[1]. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب ، القاهرة، مصر، 2001 م، ص200.

[2]. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 161،160.

[3] . طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص215.

و هكذا فإن الوصول إلى الدلالة التامة يستوجب المعادلة التالية:

الدلالة التامة: المقال + المقام (السياق اللغوي + السياق الحالي).

المقال = الدلالة المعجمية + السياق.

المقام = الاعتبار الطبقي + المقتضى.

عناصر السياق: يقتضي السياق مجموعة من العناصر، نقدمها في ما يلي:

1/ **العنصر الذاتي:**

يتعلق هذا العنصر "بالمتكلم، حيث لا بد من مراعاة رغبات المتكلم ومقاصده، ومعتقداته وأهدافه و اهتماماته."[1] هذا بالإضافة إلى كل ما يتصل به من إشارة، أو إيماءة، التي قد تحل محل النطق اللفظي، وكذا حركة المتكلم وأخلاقه وعاداته وأفعاله وتغير لونه وحركة رأسه، ومستواه الاجتماعي والثقافي، وجنسه...إلخ.[2]

2/ **العنصـر الموضـوعي:**

ويشمل هذا العنصر الظروف الخارجية الزمانية منها والمكانية ." وهي تلك الوقائع الخارجية التي فيها القول ".[3]

أ/ **الزمان:** للزمان دور بالغ الأهمية في تحديد المعنى المقصود، فجملة " صباح الخير "إذا قيلت وقت المساء، فلا بد أن القائل يقصد معنى مخالف لمعنى التحية، هذا لأنها متعلقة بوقت الصباح.

ب/المكان: إن معرفة المكان الذي ورد فيه الحدث اللغوي هام جدا للوقوف على الدلالة "، فالبلاد العربية بالرغم من أنها تتكلم لغة واحدة، إلا أنها تختلف في كثير من معاني المفردات عند استعمالها، ومن أمثلة هذه المفردات لفظ " الجامعة" في تونس بمعنى الرابطة أو النقابة العالمية، ومحاسب في العراق عندما يقال محاسب نظير معاون الكلية في مصر "[4].

3/ **العنصر الذواتـي:**

---

[1] . ينظر: عبد النعيم خليل، النظرية السياقية عند القدماء والمحدثين، ص87.

[2] . عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر ، ط1، 1999م، ص31.

[3] . ينظر: عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء و المحدثين، ص86.

[4] . المرجع نفسه، ص87.

يتمثل في" معرفة اللغة المشتركة بين المتخاطبين وتشمل المعرفة الاجتماعية والثقافية والتراثية، وغير ذلك، وهذه المعرفة قد تكتسب قبل التخاطب وأثناءه أيضا"[1]، كما أن علاقة المتكلم بالسامع قد تفرض نوعا من الحديث، فحديث التلميذ مع أستاذه يختلف عن حديثه مع الآخرين، ومستوى الحديث يمكن أن يحدد درجة العلاقة الشخصية بين كل من المتكلم والسامع.

ومع كل هذه العناصر نجد أشياء أخرى لها دور في توجيه المعنى المقصود وتحديده، والتي يوضحها الموقف نفسه، كالأثر الذي يتركه الحديث اللغوي في نفوس المستمعين، وما في الموقف من أشياء وموضوعات مختلفة...إلخ.

وبهذا نصل إلى أن السياق يتمثل في ما يمكن تسميته "بالجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب من ظروف و ملابسات، كما أن العنصر الشخصي من أهم عناصره، ويمثله طرفا الخطاب، (المرسل و المرسل إليه)، دون أن نغفل العلاقة بينهما، وكذا التلفظ وزمانه وما يحويه من شخوص و أشياء، وما يتعلق بحياتهما الاجتماعية و السياسية و الثقافية (...) وأثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى"[2]، ومن البين أن أثر هذه العناصر ليس مقتصرا على لحظة التلفظ فقط بل يمتد إلى ما قبله"[3].

---

[1] . عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، ص31.

[2] . ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان، ط1، 2003م، ص45.

[3] . المرجع نفسه، ص45.

أولا- في البلاغـــة العربية:

لقد وضح تمام الوضوح موقف البلاغين والأدباء والنقاد العرب القدامى من السياق فيما قدموه "من دراسات تطبيقية لضروب الكلام ونصوصه الإبداعية المتنوعة، وإمكانات اللغة وقدرتها على التعبير، وغير ذلك مما تناوله البلاغيون والأدباء والنقاد، باستفاضة وعمق دليل على وعيهم السياق اللغوي ودوره في بيان الدلالة."[1] فالمبدع عند تكوينه جملة لغوية يقوم بعمليتين؛ اختيار، ثم تنظيم للمختار، وذلك بما يتناسب مع النسق الذي يدور فيه الكلام، وهذا ما أدركه البلاغيون في عبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال" .[2] هذه العبارة التي " تدل على تميزهم بين شقي السياق، وهذا التميز ضروري في تحليل المعنى." [3] ومن ثم التفتوا إلى ربط الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس الكلام حسنا مقبولا مرتبطا بمناسبته لمقتضى الحال، ويرتبط ذلك بالبعدين؛ الزماني والمكاني للكلام." [4] ومنه رأينا عناية البلاغين بسياق الحال أو ما سموه بـ المقام".

و قد عبَّر البلاغيون عن هذا المبدأ في مجال البلاغة العربية، وفق عبارتين شهيرتين، هما: "لكل مقام مقال"، و"وجوب مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال"، والمقصود بـ"المقام" في العبارة الأولىٰ، هو جملة الظّروف الخارجية المحيطة بالنّص، بما في ذلك السامع والمتكلّم نفسه، و الكلامُ المرتبط بهما، الصادر عنهما، مرهون الدّواعي بزمانه، موصول الأسباب بمكانه.[5] أمّا "المقال" فَيُقصَدُ به النّص اللّغوي أو الحدث الكلامي، وبالتالي فإنّ عبارة "لكل مقام مقال" تحمل معنىٰ ضرورة التّلاؤم بين نوع الحديث و ملابساته و نوع اللفظ و ما يرمي إليه"[6].

---

[1] – هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م، ص 226،227.

[2] – ينظر: مختار عطية، التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2005م، ص135.

[3]– طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص222.

[4] – مختار عطية، التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية، ص135.

[5]- ينظر: محمد بدري عبد الجليل، تصوّر المقام في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003م، ص17. ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص3،7.

[6]- المرجع نفسه، ص7.

أمّا عبارة "وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، فتحيل إلى ضرورة مطابقة الكلام لما يقتضيه الموضوع أو الموقف الذي يقال فيه، و فيما ينبغي للخطيب أن يراعي أحوال السامعين فيه".[1] و ذلك أنّ الحال أمر يقتضي أن يؤتىٰ بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه كالإنكار مثلا إذا اقتضىٰ أن يورد الكلام مع ذلك الإنكار مؤكدا، فالكلام الموصوف بالتأكيد مقتضاه، فَكَوْن المخاطَب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، و التأكيد مقتضىٰ الحال، و لهذا يعتبر قول:"إنّ زيدًا في الدار" مؤكدَا "بأنّ" كلام مطابق لمقتضى الحال."[2] "وعليه فإنّ مقتضىٰ الحال هو الكلام الكلّي المكيّف بكيفية مخصوصة"[3].

و من خلال هذا الفهم الشامل لفكرة عبارتي "لكل مقام مقال"، و "وجوب مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال"، اعتُبِرَ النّص (المقال)، منطوقا كان أم مكتوبا غير مُنْبَتٍّ عن ظروفه الخارجية المحيطة به (المقام)، و بحكم هذا التّرابط بين المقال و المقام، ترابطا جدليا، أصبح الحكم للكلام أو عليه، لا يتعلق بشيء في ذاته، و إنّما تجاوزه إلى اعتبارات خارجة عن نطاقه أو كيانه اللغوي، كما أصبحت العلاقة بينهما أيضا، تسير في اتجاهين على نحو مستمر، فكما أنّ المقال دليل على المقام، فكذلك تعدّ المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال، و تظل العلاقة الجدلية قائمة بينهما طوال عملية الممارسة اللغوية"[4].

وبِتَصَفُّحِ الكتب البلاغية، بغرض الكشف عن جوهر هذه الأفكار التي طرحها البلاغيون، "نجد أنّ كل مبحث من مباحث علم المعاني–على وجه الخصوص– قد تكفّل بذلك، إذ عمل على تفسير هذه الأفكار، و بيان مصداقيتها في الارتقاء بمستويات الكلام إلى أعلىٰ درجات البلاغة، حتى ارتبط مفهومه (علم المعاني) بها، و ضبط حدّه بناءً عليها"[5]. فجاءت تعاريفه على اختلاف أشكالها حاملة لهذه الأفكار، و خلاصة هذه

---

[1]- حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، باب الذّكر و الدّعاء أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف: بشير إبرير، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2004م/2005م، ص42،

[2] – رشيد بالحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، ص2 . وينظر : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح : محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان، 2003م ، ص 43،50 .

[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1937م ، ص80.

[4]- ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص7.

[5]- محمد بدري عبد الجليل، تصوّر المقام في البلاغة العربية، ص66.

التّعاريف، أنّ علم المعاني هو العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضىٰ الحال"[1].

وهكذا جاءت جلّ الكتب البلاغية، حاملة لواء مبدأ "لكل مقام مقال"، و "وجوبُ مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال"، حيث انبرىٰ أصحابها إلى بناء أرائهم ونظرياتهم من خلالها، وفقا لمقدّمات هذا المبدأ، وانطلاقا من أسسه، وسَنَكْتَفِي في هذه المحطّة، بطرق نخبة محدودة من البلاغيين الذين كان لهم باع طويل، و أثر عميق في تاريخ البلاغة العربية و في حمل لواء مبدئها، الذي أصبح وِسَامًا مُمَيِّزًا لها، و ناطقا شرعيا باسمها، لا يُذكَرُ إلاَّ و تفهم البلاغة من ورائه.

بشر بن المعتمر(ت 210 هـ):

تشير الدراسات التي بين أيدينا إلى "أن البدايات الأولى لفكرة "مقتضى الحال" ترجع إلى جهود بشر بن المعتمر، إذ كانت هده الفكرة محورا أساسيا في صحيفته ".[2] فقد نقل عنه الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين" قوله: " فكن في ثلاث منازل؛ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا و فخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، و إما عند العامة إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب إحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال".[3]

من خلال هذا النص يتضح لنا أن بشر بن المعتمر يشير إلى تبعية واضحة في المعنى والحال (المقام)، فالمعاني إما معان للعامة، أو معان للخاصة، ومدار الشرف على موافقة المقال لمقام الخاصة أو مقام العامة، وهذا ما يدل على مراعاة المقام في الكلام، والتناسب بينهما تناسبا يستند فيه الثاني إلى الأول ولعل المراد بالمقام هنا هو الحال الاجتماعية للمستمعين"[4].

---

[1]– محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنىٰ، ص7.

[2] – ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000م ، ص21.

[3]–الجاحظ (أبي عثمان عمر بن بحر)، البيان والتبيين، تح :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998 م، 1ج ، ص136.

[4] – ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص87.

أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (150 هـ – 255 هـ):

يعد الجاحظ من أبرز البلاغين الذين أشاروا في دراساتهم إلى "المقام "و" مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، ولذلك جاء كل من: كتاب "البيان و التبيين"، و كتاب "الحيوان"، حَامِلاً لمباحث مهمة للتّقنين و التّنظير لهذا المبدأ. "فالمقام من أبرز المقامات التي اعتنى بها الجاحظ فهو محور تأليفه في البيان و منطلق تصوراته لبلاغة النص، ولهذا عدت مؤلفاته أهم مصدر لدراسة الخطابة العربية "[1].فهو" يعتبر المبدأ القائل بـ ًوجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال ً قيمة بلاغية لابد من العمل بها والتأكيد عليها ."[2] و المقصود بمطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال في هذا الموضع هو:" مطابقة اللفظ على المعنىٰ و مراعاة حال السامع أو القارئ؛ أي مطابقة الكلام للفظه و مقامه و المستمع إليه".[3] حيث يقول الجاحظ مؤكّدا ذلك: "حق المعنىٰ أن يكون الاسم له طبقا، و تلك الحال له وفقا(...)ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقاتهم، و الحمل عليهم على قدر منازلهم..."[4]، ويقول في موضع آخر: "إنّ المعنىٰ ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذلك ليس يتّضِعُ بأن يكون من معاني العامة، و إنّما مدار الشرف على الصّواب و إِحْرَازِ المنفعة على مُوَافَقَةِ الحال و ما يجب لكل مقام من المقال(...) و ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، و لكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات."[5] ويضيف موضحا بقوله: "...وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب و ألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل، ولكل مقام مقال، ولكل صناعة شكل "[6].

---

[1]– ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوراته إلى القرن السادس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، السلسة السادسة، م 21، منشورات الجامعة التونسية، 19981م، ص233.

[2] – عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص77 .

[3]- ينظر: صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، 2002م، ص117.

[4]– الجاحظ، البيان و التبيين ، ج1، ص92 .

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص ص136\ 138\ 139.

[6] – الجاحظ (أبي عثمان عمر بن بحر)، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1969م، ج3، ص369.

وانطلاقا من هنا نجد أن " المقال ليس إلا الألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحديث، ولكن يمكن أن يقال: إن هذا التناسب له وجهان: أحدهما، تناسب الألفاظ مع المجال الخاص (الموضوع)، كتناسب مصطلحات العلم مع الموضوع، والوجه الآخر: تناسب الألفاظ مع الطبقة المستمعة"[1].

و حسب ما أورده الجاحظ يتضح أنّ المطابقة عنده تتحقق على مدى أربعة مستويات هي:

– **مطابقة بين اللفظ و المعنىٰ** حتىٰ يصبحا شيئا واحدا، و هو ما أسماه المشاكلة في قوله: "متىٰ شاكل ذلك اللفظ معناه، أعرب عن فحواه..."[2].

– **مطابقة بين الكلمة و الكلمة:** تتم داخل الجملة أو التركيب، و يقصد بها إسناد الكلمة إلى أختها و تعليقها (ربطها) بما يجاورها من الكلمات في نسق التأليف.

– **مطابقة بين الكلام و المستمع:** و تتمثل في المطابقة بين الكلام و المستمع، وهي التي يهدف المتكلم بها إلى التوفيق بين كلامه من جهة وبين المستمع من جهة أخرىٰ.

– **مطابقة بين الكلام و المستمع و بين مقتضىٰ الحال:** و تتمثل في الظّروف و الملابسات التي يجري فيها الخطاب، والتي يسميها الجاحظ الحال أو المقام، و هي "المطابقة بين الأصناف الثلاثة الأولىٰ (اللفظ و المعنىٰ، الكلمة و الكلمة، الكلام و المستمع) و بين الظروف الخاصة لكل خطاب و التي تتجدد في كل لحظة"[3].

و من خلال ما ذهب إليه الجاحظ بإثباته لهذه المطابقات، نلاحظ بأنّ مقتضىٰ الحال عنده هو "مراعاة لعدة جوانب، منها: معرفة المقام الذي وردت فيه الفكرة، و تحديد الغاية منها، و بيان صاحب الحال إن كان المتكلم أو السامع أو هما معا، ثم مراعاة الناحية الاجتماعية من حيث الألفاظ، فلا تستخدم عبارات غير مفهومة، فتنعدم فائدة الحوار"[4].

---

[1] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص89 .

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين ، ج 2، ص 7.

[3]- ينظر: محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط12، 1994م، ص157 و ما بعدها.

[4]- ينظر: حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التّداولية، باب " الذكر والدّعاء" أنموذجا، ص43.

كما نجده يشير إلى دور حركات الشخوص وإشاراتهم في التواصل اللغوي، وهي كما لا يخفانا عنصر من عناصر المقام وذلك في قوله: " فأما الإشارة فباليد، وبالرأس والعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان و بالثوب وبالسيف (...) والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغني عن الخط ."[1]

وحسب هذه الجوانب يتضح أنّ مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال هي من عمل المتكلم، فهو الذي يُطْلَبُ منه أن يراعي المقامات و تفاوتها طبقا للقواعد و الأصول الموضوعة، " لأنّ تنزيل الكلام هذه المنزلة يحتاج إلى إتمام الآلة و إحكام الصّنعة"[2]، إلاّ أنّ مراعاة حال المتكلم خلال العملية التواصلية لا تقتصر عليه فحسب، بل تقف جنبا إلى جنب مع مراعاة حال المخاطب، لأنّ " المُفْهِمَ لَكَ وَ المتَفْهَمَ عَنْكَ شريكان في الفضل، إلاّ أنّ المفهم أفضل من المتفهم..."[3]، إذن كلٌّ " من المقام و المتكلم و المخاطَب، عناصر غير لغوية، وهي تمثل ضُغُوطاً إنجازيه قصوىٰ، إنْ رُوعِيَتْ حسن الكلام و نجحت العملية التواصلية! وارتقت أعلى قمم البلاغة "[4].

إضافة إلى ذلك نلاحظ بأنّ مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال عند الجاحظ، تتعدّى المتكلم والسامع/ المخاطب، لتشمل "وجوب تحرّي الموضوع المتحدّث عنه فيما إذا كان لهذا الموضوع ألفاظ اصطلاحية خاصة، و ذلك أنّ مطابقة الكلام لمثل هذا الموضوع تقتضي عدم استعمال هذه المصطلحات إلاّ في حالة خاصة".[5] و عن ذلك يقول:" فإنّ كان الخطيب مُتَكَلِّمًا تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنّه إنْ عَبَّرَ عن شيء من صناعة الكلام واصِفًا، أو مجيبا، أو سائلا، كان أولىٰ الألفاظ به، ألفاظ المتكلمين؛ إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، و إلى تلك الألفاظ أميل، و إليها أحنّ و بها أشغف"[6].

[1] – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص77،78 .
[2]– المصدر نفسه ،ج 1، ص 162.
[3]– المصدر نفسه ، ج1، ص 11.
[4]– ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص12.
[5]- ينظر: عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص77.
[6]– الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص 139.

إنّه لمن الواضح جدا –حسب كل ما ذكر– أنّ الجاحظ كان شغوفا جدًا بما أقرَّه في كتابه "البيان و التبيين"، ممّا يجب لكل مقام من المقال، و مراعاة المطابقة بين العناصر اللغوية فيما بينها، و بين العناصر غير اللغوية، و نظم الكلمات وفق أماكنها و مواقعها المقسومة لها حسب مقتضيات أحوالها و مواقفها،كما أن للصوت دور في السياق عنده وفي ذلك يقول:" والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، و به يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظ ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت".[1] ونظرا لتنبه الجاحظ لهذه القضايا وإدراكه دورها في توجيه المعنى، نجده" يدعو إلى اللّحن و مجانبة الإعراب إذا اقتضىٰ المقام ذلك، و يظهر أنّ هذا الأمر قد شغل باله كثيرا، لأنّنا نراه يشير إليه في كتبه أكثرمن مرّة".[2] فمرّة يقول: " أنا أقول: إنّ الإعراب يفسد نوادر المُوَلدين، و كما أنّ اللّحن يفسد كلام الأعراب، لأنّ سامع ذلك الكلام إنّما أعجبته تلك الصّورة و ذلك المخرج، و تلك اللغة و تلك العادة، فإذا دخلت على هذا الأمر – الذي إنّما أضحك بسُخْفه و بعض كلام العجمية التي فيه– حُرُوفَ الإعراب و التحقيق و التثقيل و حوّلته إلى صورة ألفاظ الأَعْرَابِ الفصحاء، و أهل المروءة و النَّجابة، انقلب المعنىٰ مع انقلاب نظمه، وتبدّلت صورته. "[3] و يقول في موضع آخر: " و متىٰ سَمعت –حفظك الله– بنادرة من كلام العرب، فإيّاك أن تحكيها إلاّ مع إعرابها و مخارج ألفاظها، فإنّك إنْ غيّرتها بأن تلحن في إعرابها، و أخرجتها مخارج كلام المولدين و البلديين، خرجت من تلك الحكاية(..) و كذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام(...) ، فإيّاك و أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخيّر لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فِيك مخرجا سَرِيا، فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها، و يخرجها من صورتها، و مِنَ الذي أُرِيدَتْ له، و يُذهب استطابتهم إياها، و استملاحهم لها"[4].

و من خلال هذه المقولة نتوصل إلى حقيقتين: الأولىٰ أنّ ما أورده الجاحظ هنا ليس مقصورا على النوادر و الملح، و إنّما ذكره لها جاء على سبيل المثال، و القصد العام عنده هو ضرورة رعاية المطابقة بين الكلام و مواضعه. و أمّا الحقيقة الثانية، فإنّ ما ذكره عن لغة

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص79 .

[2]– عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص78.

[3]- الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص282.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص145، 146.

النادرة أو الحكاية، إنّما "هو من وحي تجربته الذاتية و ملاحظته الشخصية؛ لأنّ الجاحظ كما نعلم، من أسياد الأسلوب الساخر و صنّاع الفكاهة في الأدب العربي، فهو أدرىٰ من غيره بالخصائص الأسلوبية التي تتطلبها طبيعة النادرة أو الطُرْفة الأدبية لتعطي أقصىٰ ما تملك من إمتاع و إضحاك"[1].

وهكذا نجد أن الجاحظ قد " تنبه إلى أهمية السياق وعناصره ومقوماته التي أوصلها إلى ستة عناصر هي: (اللفظ و الإشارة والحركة إلي تدل على العدد والخط والنصبة (الحال) والصوت) ".[2] وفي ذلك نجده يقول: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة "[3].

ونتيجة ما تقدم نجد أن الجاحظ كان " يحيط علما بالسياق ويسبق المحدثين في جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال، وهو ما عرف بالسياق اللغوي وغير اللغوي ".[4] فقد أشار إلى ما يعرف بسياق الحال، كما أنه لم يكن بغافل عن دور العناصر غير اللغوية في الفهم والإفهام، والتي تعد من عناصر المقام، هذا بالإضافة إلى أن المقام هو الحال الاجتماعية، كما أنه أشار إلى هيئة المتكلم الذي يشكل عنصرا من عناصر سياق الموقف.

ابن قتيبة الدينوري (213هـ –276 هـ):

و يأتي بعد الجاحظ ابن قتيبة الدينوري الذي يعد من البلاغيين الذين أبدوا اهتمامًا بالبلاغة و علاقتها بالمقام، وخاصة ما أورده في كتابه "أدب الكاتب" هذا الكتاب الذي يحمل في طياته إرشادات وتوجيهات للكاتب في فنون المعرفة وعلوم اللغة، فإن للمقدمة من الوجهة البلاغية أهمية خاصة "لما تتضمنه من وصايا أوصى بها الكاتب الشادي في فن الكتابة، ومن جملة ما تضمنته هذه المقدمة بعض القضايا البلاغية، منها اشتراط وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال والتأكيد على التفريق بين خطاب الأكفاء والنظراء والأساتذة

---

[1]– عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص79.

[2] – نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص205.

[3] – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص76 .

[4] – نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص205.

والرؤساء".[1] و نستشف دليل تأكيده على هذه القضية الأخيرة و الدّعوة إلى الأخذ بها، و العمل على منوالها، واعتبارها الوسيلة الأساس التي تتأتىٰ بها غاية الكتابة، من خلال قوله:" ونستحبُّ له أيضا (الكاتب) أن ينزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب و المكتوب إليه، و أن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، و لا رفيع الناس وضيع الكلام؛ فإنّي رأيت الكُتَّابِ قد تركوا تَفَقُّدَ هذا من أنفسهم، و خلّطوا فيه؛ فليس يفرّقون بين من يُكْتَبُ إليه:" فَرَأْيَكَ في كذا "، و بين من يُكْتَبُ إليه:" فإن رأيت كذا"."و رَأْيَكَ" إنّما يُكْتَبُ بها إلى الأكفاء و المُسَاوينَ، لا يجوز أن يُكْتَبَ بها إلى الرُّؤَسَاءِ، و الأُسْتَاذِينَ؛ لأنَّ فيها معنىٰ الأمر، و لذلك نُصِبَتْ، و لا يفرّقون بين من يُكْتب إليه:"و أنا فَعَلْتُ ذلك" و بين من يُكْتَبُ إليه: و "نحن فعلنا ذلك"، و" نحن" لا يَكْتُبُ بها عن نفسه إلاَّ آمِرٌ أو نَاهٍ؛ لأنّها من كلام الملوك و العظماء"[2].

و أمّا دليل اعتداده بفكر مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، فندركه حين يتحدّث عن "الإيجاز" معلّقًا على قول "كسرىٰ أبرويز" لكتابه: " واجمع الكثير ممّا تريد في القليل ممّا تقول".[3] حيث رأىٰ "ابن قتيبة" أن كسرى " من خلال هذا القول إنّما يريد الإيجاز، و هذا ليس بمحمود في كل موضع، و لا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، و لو كان الإيجاز محمودا في كلّ الأحوال، لجَرَّدَهُ الله تعالى في القرآن، و لم يفعل ذلك، و لكنّه أطال تارة للتوكيد، و حذف تارة للإيجاز، و كرّر تارة للإفهام(...) و ليس يجوز لمن قام مقامًا في تحضيض على حرب(...) بِدَمٍ أو صُلْحٍ بين عشائرَ أن يُقَلِّلَ الكَلاَمَ و يختصره، و لا لمن كتب إلى عامّةٍ كتابًا في فتحٍ أو استصلاح أن يُوجِزَ. "[4] بل لابد من مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال.

وهكذا كان ابن قتيبة يقترب بأفكاره إلى ما قال به الجاحظ بضرورة مناسبة اللغة للمقام الذي تجري فيه عملية التواصل اللغوي ،وهذا ما يتفق إلى حد بعيد مع ما جاء به مالينوفسكي فيما سماه ً سياق الموقف ً.

[1] – ينظر: عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص21 .

[2]- ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمّد الفاضلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2001م، ص20، 21.

[3]– المصدرنفسه، ص21.

[4]- االمصدر نفسه، ص21.

عبد القاهر الجرجـاني (ت 471 هـ ،أو 474 هـ):

يأتي الجرجاني بعد تلك النخبة الفذّة من علماء البلاغة، و التي كان لها دور كبير في الاضطلاع بمباحث علم المعاني، "فهو يعد مؤسس علم البلاغة الحق، فقد حاول -بل تمَكَّنَ- من أن يضع قواعد و قوانين البلاغة النقدية، متجاوزاً في ذلك مجال اللغة الفنية (الأدبية) ليدخل أفقا أكثر اتساعا تنتشر فيه اللّغة واستخداماتها في طبقات لغوية تشتمل على المألوف و المتغيّر".[1] و تحقق ذلك من خلال كتابيه:"دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، و ما حُمِّلا به من نظريات أشهرها على الإطلاق "نظرية النّظم" -على حدّ اصطلاح النقاد و العلماء المحدثين-؛ هذه النظرية التي قلبت موازين البلاغة في اللفظ والمعنى، و تَعدَّته إلى أنّ بلاغة الكلام إنّما في نظمه وفقا للظروف و المقتضيات المحيطة به، وهذا ما يتضح من خلال إشارته " إلى أن الكلمات العربية جثث هامدة لا حياة فيها إلا في التركيب الكلامي، وأن التفاضل بينها مبني لا على أساس أنها ألفاظ مجردة أو كلمات مفردة، بل على أساس دلالتها في التركيب ومواءمتها لمعنى غيرها في سياق الكلام ."[2] فهو لم يتوقف على النظر إلى المعاني الجزئية و الألفاظ المفردة، بل" نظر في التراكيب و علاقتها بالمقامات الكلامية المختلفة و الأحوال التي ترتبط بها، و ما تؤديه هذه التراكيب من وظائف نحوية و بلاغية باختلاف هذه المقامات والأحوال"[3].

فقد كان للجرجاني مبدأ " يرى بأن الجملة ذات معنى دلالي واحد، ويقتضي هذا المبدأ النظر إلى الجملة على أنها كيان مستقل بنفسه يمثل وحدة تامة نحويا ودلاليا ويبدو أن استقلال الجملة أمر نسبي يحكمه موقعه في السياق ، فقد تكون الجملة مستقلة في سياق معين وتكون هي نفسها غير مستقلة في سياق آخر"[4].

---

[1]-ينظر: فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي، النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1973م، ص420.

[2] -رجب عثمان محمد، مفهوم السياق و أنواعه و مجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية والأسلوب، مجلة علوم، مجلد 6، عدد 4، دار غريب، القاهرة، 2004م، ص132.

[3]- ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط5، 1994م، ص84.

[4] – رجب عثمان محمد، مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية والأسلوب، ص126،125.

ومن النّماذج التي تؤكد اهتمام عبد القاهر بدراسة التراكيب انطلاقا من مقامها قولـه: " أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع لغرض المتكلم – أي الكلام (...) ألا ترى أنك لو رأيت " سل القرية " في غير التنزيل لم تقطع بأن ههنا محذوفا لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت و باد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظا و منكرا أو لنفسه متعظا معتبرا: سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا. على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنا ثمارك، فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا. وكذلك إن سمعت الرجل يقول: ليس كمثل زيد أحد، لم تقطع بزيادة الكاف وجوزت أن يريد ليس كالرجل المعروف بمماثلة زيد احد "[1].

و هكذا يربط الجرجاني جميع القرائن النحوية، من رتبة و مطابقة بمراعاة المقال و المقام، و ما يتصل بالموقف من ظروف، و" بكل ماله علاقة بحال المتكلمين و موضوع الكلام و المخاطبين، و ما يتصل بمشاعرهم(...)، و بالتالي ندرك أنّ الجرجاني ربط الكلام بمقام استعماله و مقتضىٰ حاله، على اعتبار أنّ ذلك هو لبّ دِرَاسَةِ المعنىٰ".[2] إلاّ أنّه خلال تطبيقه لهذا المبدأ نحا منحىٰ مغايرا عن سابقيه من البلاغيين و إنّما نحا هذا المنحىٰ المخالف لاختلاف الهدف، حيث كان هدفه –من تطبيق هذا المبدأ– هو إدراك حقيقة إعجاز القرآن الكريم، ليتوصل فيما بعد إلى نتيجة لم يسبقه إليها أحد، و هي أنّ إعجاز القرآن إنّما في نظمه".[3] و في ذلك يقول: " أوّل شيء يؤدي إلى أن يكون القرآن معجزاً، لا بما به كان قرآنا و كلام الله عزّ و جلّ، لأنّه على كل حال، إنّما كان قرآنا وكلام الله عز وجل بالنّظم الذي هو عليه..."[4]. لذلك نجد الجرجاني ركزّ و بشكل عميق على ما للنّظم من مزية في أيّ تركيب من التّراكيب، و أكّد على الصلة القائمة بين معاني هذه التراكيب ذات النّظم الخاص و المقام الذي تأتي له، و بالتالي كانت فكرة "المقام" و هو يتحدّث عن النّظم، أساسية في الأنماط التي بحثها و عرضها بالتطبيق، و "هذا ما يكشف ربط الفصاحة

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص309، 310.

[2]– محمّد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنىٰ، ص8، 9.

[3]– ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص29.

[4]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمّد عبده، محمد محمود التركزي الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2003م ، ص331.

بالبلاغة، و ربط ذلك بالنّظم، و كلاهما يرميان إلى الإبانة عن المعنىٰ، لأنّ علم المعاني يبحث في مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال و به يتحقق مبدأ "لكل مقام مقال"، و هذا ما جعله يعتبر النّحو و البلاغة، بوصفهما وسائل لفهم الإعجاز القرآني، الوسيلة التي تَحَقَّقَ بها هدفه".[1] و لكنَّ تَحْقِيقَ هذا الهدف لم يتأت له إلاّ بربط النّص القرآني بالأحداث و الوقائع الملابسة له. و هذه الفكرة التي قال بها الجرجاني، و"اعتمدها في دراسته، هي ما اتفق المفسّرُون على تسميتها بـ "أسباب النّزول"، حيث اعتبروا المعرفة بهذه الأسباب شرطا أساسيا لا بد من توفّره لدىٰ المفسّر قبل بدئه عملية التفسير".[2] و ذلك أنّ جُلَّ آيْ القرآن الكريم تميّزها ظاهرة بلاغية، قيل إنّها من سنن كلام العرب أو كما سماها السيوطي هي " فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللّفظ معناه".[3] " مما تمثل عند المفسرين والأصوليين بمعرفة أسباب النزول ، وهي الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني، فبمعرفتها يزول الإشكال في فهم كثير من النصوص. "[4] و بالتالي تكون الدّراية بالمقام الذي قيل فيه النّص، هي السّبيل الوحيد للفهم من جهة و للوصول إلى استنباط مَكَامِنِ البلاغة في كلامه عزّ و جلّ من جهة أخرىٰ، و دليل ذلك قول الإمام "ابن قيّم الجوزية"(ت751هـ): السّياق يرشد إلى تبيين المجمل و القطع بعدم احتمال غير المراد، و تخصيص العام و تقييد المطلق، و تنوّع الدّلالة، و هو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره و غالط في مناظرته، وانظر إلى قوله تعالىٰ: ﴿ ...ذق إنّكَ أنت العزيز الكريم﴾[5] كيف تجد سياقه يدل على أنّه الذّليل الحقير".[6] و ذلك أنّ رسول الله –صلّى الله عليه و سلّم– لَقِيَ أبا جهل(...) فقال له: إنّ الله تعالىٰ أمرني أن أقول لك: أولىٰ لك فأولىٰ، ثمّ أولىٰ لك فأولىٰ،(...) فقال: ما

[1]- ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص196.

[2]– ينظر: صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص 211.

[3]– السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين) ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تح: محمّد أحمد جاد المولىٰ، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1، ص 331.

[4]– صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص211.

[5]– سورة الدّخان، الآية: 49.

[6]– ينظر: ابن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، م2، ج4، ص 8، 9.

تستطيع لي أنت و لا صاحبك من شيء(...) و أنا العزيز الكريم،(...) فقتله الله تعالىٰ يوم بدْرٍ و أَذَلَّهُ، و عَيَّرَهُ بكلمته، و أنزل ".[1]:﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلىَ سَوَاءِ الجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ من عذاب الحَمِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾[2].

و من خلال هذا التفسير، يتضح ما للمقام من دور، و ماله من فائدة في تحديد المعنىٰ، ففي الآية السابقة "حقيقة المعنىٰ مُخَالِفَةٌ لظاهر اللفظ تماما، و ذلك أنّ ظاهر العبارة التّكريم، و إنّما حقيقتها التحقير والاستهزاء، و الذي بيَّنَ ذلك، ثُمَّ حَدَّدَ المعنىٰ المراد، و ضبطه بدقة، هو المقام الذي أُنْزِلت على اعتباره هذه الآية"[3].

كما لم يفت الجرجاني أن يبين " أثر السياق الثقافي في التمييز بين الحقيقة والمجاز وهو أمر وثيق الصلة بإجلاء المعنى، فالوقوف على ثقافة المتكلم ومعتقداته يبين ذلك ".[4] والشيء الذي انتهى به إلى ذلك هو تتويجه نظرية النظم " بثلاث معاني هي : المعنى المعجمي، معاني النحو وإحكامه، والمعنى الدلالي، لذا أفاض الحديث عن دلالة الكلمة المفردة، وتغير دلالتها على مستوى التركيب والعبارة فيما عرف عنده بالمجاز اللغوي والمجاز العقلي."[5] كما نجده في موضع آخر يقرر بأننا " إذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة بالمجاز كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسبع المعروف كان حكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة، وأوقعها على غير ذلك، إما تشبيها، وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه."[6] و إلى جانب عنايته بالسياق الثقافي كان له اهتمام بالسياق اللغوي، وذلك من خلال عنايته بالنظم، " غير أن هناك فرقا جوهريا بين السياق اللغوي عند المحدثين وما قصده عبد القاهر باصطلاح النظم، إذ العلاقة بين الوحدات اللغوية في السياق اللغوي أساسها البحث عن الدلالة، فالسياق عامل أساسي في توضيح الدلالة إذا ما كان هناك لبس أو غموض في المعنى المعجمي لكلمة ما بينما النظم

[1]– محمّد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن، بيروت، لبنان، ط7، 1981م، ج 3، ص305.

[2]– سورة الدّخان، الآية: 47، 48، 49.

[3]– ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية و المعنىٰ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص64.

[4] – طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين ، ص224 .

[5] – هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص130 .

[6] – الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص300 .

عند عبد القاهر إن هو إلا إدراك لتلك القوانين النحوية التي تنظم العلاقة الأسلوبية بين الوحدات اللغوية من منطلق قضية الصواب والخطأ "[1].

وهكذا نجد الجرجاني قد استطاع " ربط جزئيات الكلام بسياقاته، إلا أن البلاغين بعده لم يستثمروا هذا الربط الذي انطلق فيه (...) من خلال عدم اعتداده بالكلمة نقطة للبدء، وإنما نقطة البدء عنده هي السياق، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله و حينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ وعلاقاتها فيه ثانيا"[2].

وانطلاقا من هذا كله يمكننا أن نعد الجرجاني من أهم البلاغين الذين استطاع وأن يقتربوا بأفكارهم من الدراسة السياقية كما هي في الدرس الحديث.

السكـاكـي (ت 626 هـ) :

يحاول السكاكي بعد الجرجاني أن يجمع مباحث النظم، ويصوغها صياغة علمية و مقننة و هو من البلاغيين الذين اعتبروا "مخالفة ظاهر اللفظ معناه" من المظاهر المُمَيِزة لبلاغة الكلام، حيث يقول:"إنّ إخراج الكلام لا على مقتضىٰ الظاهر طريق البلغاء..."[3]، إلاّ أنّه يشترط، لضمان أداء هذه الظاهرة غايتها (بلاغة الكلام)، مَبْدَأً شَائِعاً، قال به البلاغيون من قبله، و هو "وجوب مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال"، و "ذلك أنّ مخالفة ظاهر اللفظ معناه لا تتم –حسب رأيه– إلاّ إذا اقتضىٰ الحال ذلك".[4] فيقول:"لا يتّضح الكلام (...)اتضاحه إلاّ بالتعريض لمقتضىٰ الحال..."[5]، هذا ما أدّىٰ به إلى اعتباره أنّ القيمة البلاغية في التراكيب اللغوية لا تتحقق إلاّ وفق العلاقات الآتية:

1. "المقاصد: التشكر ، الشكاية ...إلخ.
2. المخاطب: بناء الكلام على استخبار أو إنكار، الكلام مع الذكي أو الغبي.
3. سياق المقال: مقام الكلمة مع الكلمة .

[1] – عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين ، ص172 .

[2] – مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2005 م،ص136 .

[3]– السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن ابي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، ص115.

[4]– ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص6.

[5]– السكاكي، مفتاح العلوم، ص80.

و هكذا تحصر الأحوال في ثلاثة: - المتكلم.

- علم النحو.

- السامع.

ولعل أكثرها تأثيرا هي التي تتصل بالمتكلم، وأقلها المتصلة بالسامع ".[1] وهذا ما نجده موضحا في قوله: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة: فمقام التشكر يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر "[2].

من خلال هذه النظرة السريعة التي ألقيناها على أهم الدراسات البلاغية التي كان لها علاقة بالسياق بنوعيه، نتوصل إلى أن البلاغيين هم من " أوائل العلماء الذين توسعوا في دراسة السياق وتحديد الدلالة من خلاله(...) وقد لاحظ البلاغيون منذ القدم ظاهرة السياق(...) فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة السياق وربطها بالصياغة، أو بمعنى أصح ربط الصياغة بالسياق "[3].

كما شمل السياق لدى هؤلاء العناصر غير اللغوية، كالإشارة (الإشارة بالعين وبالحاجب أو بالمنكب أو بالعصا وكذا طريقة إخراج الصوت بما فيها من نبر وتنغيم، " يضاف إلى ذلك الارتباط النفسي بين حال المتكلم وانفعالاته عند إلقاء حديثه "[4].

أما عنايتهم بالسياق اللغوي فقد كانت أوضح وأغلب على عملهم من العناية بالجانب المقامي، وذلك من خلال عنايتهم بدراسة التراكيب أو ما سماه الجرجاني" النظم " وكذا من خلال حديثهم عن الفصاحة على مستوى التركيب ومن خلال اعتنائهم بالفصاحة على مستوى اللفظ كانوا قد انتبهوا إلى السياق الصوتي.

---

[1] – ينظر: جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص34، 35.

[2] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص80 .

[3] – رجب عثمان محمد، مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية و الأسلوب، ص96 .

[4] – نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ، ص208 .

أما اعتناؤهم بالشق الاجتماعي من السياق العام فيتلخص في عبارة "لكل مقام مقال" فعنايتهم بالأساليب وأغراضها البلاغية ذات صلة بالسياق فنحن ندرك أنه كثيرا ما تخرج العبارة (الأسلوب) عن غرضها الأصلي إذا تغير السياق (المقام)، ولكن نظرا لطبيعة دراستهم نجدهم لم يعمدوا إلى الفصل في شرح عناصر السياق اللفظي والحالي، وإن كانوا اعتمدوا عليه في أنماط التحليل الأدبي، وهكذا نجدهم على دراية بالسياق بنوعيه وأحيانا ببعض عناصره، وإن كان ذلك على شكل إشارات متفرقة، " غير أن اللافت للانتباه أن يوحد البلاغيين بين مصطلحي الحال والمقام حيث يستخدمان مترادفين والبلاغيون إجمالا يوحدون بين المقام والحال "[1].

عليه يمكن أن نقول أنّ البلاغيين عند اعترافهم بهذه الفكرة كانوا مدركين تمام الإدراك، أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، و أنّها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلّمها، و أنّ هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية، لذلك قالوا:"لكل مقام مقال"، و لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[2].

ثانيا-في النحو العــربي:

[1] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، ص83 ، 84 .

[2]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص337.

تناول بعض النّحاة العرب العديد من الظواهر الأسلوبية –حسب الاصطلاح الحديث–، و بحثوا في الإفادات و المقاصد الإبلاغية المترتبة عنها، حيث كان لكثير منهم اهتمام كبير بالبحث في معاني الأساليب و أغراضها البلاغية، و تعود البدايات الأولىٰ لميلاد هذا المنحىٰ البلاغي النحوي إلى عصر سيبويهْ (–180هـ)، لتمتدّ بعد ذلك حتى عصر المتأخرين عنه، و الذين كانوا أكثر اهتماما منه بهذا المنحىٰ، أشهرهم على الإطلاق في ذلك، الإمام عبد القاهر الجرجاني (–471ه) [1].

و بالتالي أصبح المزج بين مباحث علم النّحو و علم البلاغة خاصية مميّزة للدّرس اللغوي القديم، وذلك على اعتبار أنّ بلاغة الكلام عندهم، أصبحت متعلقة بمدىٰ مطابقة المقال لمقتضىٰ الحال، و بحكم أنّ وجود البلاغة يستلزم وجود المقال، فإنّ وجود المقال يستلزم وجود قواعد و قوانين تضبطه و تحدّد نصيبه من تلك البلاغة، لذلك جاء اعتناء النّحاة بـ"المقام"، على أساس "أنّه القالب الخارجي الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية مشيرين بذلك إلى تأثير دلالة النص اللغوي، و المقام الملابس له، على العناصر النحوية من حيث الذّكر و الحذف و التقديم و التأخير و التعريف و التنكير، و غير ذلك مما درسه ما يعرف بعلم المعاني، و معتبرين أنّ الوظيفة النحوية تختص ببناء الحدث اللغوي (المقال) و ذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام، الخاضعة لتنظيم المحتوىٰ بطريقة منطقية مترابطة تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها"[2].

وإن كان اهتمام النحاة ظاهريا ينصب على العلامة الإعرابية وعلى أواخر الكلم "ومع ذلك حوت كتب النحو إشارات عميقة لغير قرينة الإعراب مع القرائن النصية الأخرى، كما حوت إشارات مهمة إلى الترابط في سياق الجملة أو الجمل، مما يعني وعيهم بسياق النص، وإن لم يشيروا إليه بلفظه صراحة، ولكنهم اهتموا بتحليل الجملة من حيث ترتيبها وارتباط ألفاظها و تمامها، فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليا ."[3] وبمعنى آخر أنهم " استخدموا السياق بمدلوله اللغوي العام ولم يكن يحمل المفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعا فيما بعد

[1]– ينظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م ص203، 205.

[2]– ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص4.

[3] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص66.

بين علماء اللغة المحدثين و خاصة الدلاليون منهم".[1] وقد كانت لهم معرفتهم – أي النحاة – بالسياق بنوعيه اللغوي و العام وأحيانا ببعض عناصره ولكن كان ذكرهم لها على شكل متفرق، " وتظهر المؤشرات الأولى التي تنبه لدور السياق في فهم النص وتحليل الوظائف اللغوية، المكونة لنسجه و بنيته في أقدم النصوص النحوية المدونة التي بين أيدينا "[2].

وهكذا أتت العناية بالسياق اللغوي مرتبطة بـ " إشارة النحاة إلى الترابط بين أجزاء الجملة سواء أكان الثاني جملة أم لا، وذكروا أن ما يحتاج إلى رابط أحد عشر نوعا، وهي: الجملة المخبر عنها، والجملة الموصوف بها، والجملة الموصول بها الأسماء، والواقعة حالا، والمسرة لعامل الاسم المشتغل عنه، و بدلا البعض، وبدل الاشتمال، و معمول الصفة المشبهة، و جواب اسم الشرط، المرفوع بالابتداء، والعاملان في باب التنازع، و ألفاظ التوكيد الأول " المعنوي "، و أزيد معمول النعت السببي، كما تناولوا العطف بين أجزاء الجملة الواحدة، كعطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل، و عطف الجمل"[3].

انطلاقا من ذلك ارتبط النحو العربي بمفهومه العام بالسياق اللغوي، وظهر أثره جليا في الدراسات النحوية القديمة عن طريق:

1- إهمال بعض الأدوات العاملة إذا اقتضى السياق اللغوي ذلك وإعطاء بعضها حكم الأدوات الأخرى.

2- دراسة النحويين للجملة و وضعهم القواعد و الأصول التي تحكم الترتيب بين أجزائها.

3- ظاهرة الإعراب التي أولوها عناية خاصة و ما تقتضيه من تقدير وحذف.

فقد كانوا يوجهون الإعراب بحسب ما يفرضه السياق اللغوي (...) وكثيرا ما يفتقدون في السياق واحد من هذه العناصر فيتوجهون إلى تقدير المحذوف بحيث يتناسب مع السياق الأصلي الذي تفرضه القواعد النحوية والأصول اللغوية، فنجد أنهم " عرضوا لمسالة تمام الجملة بحثا عن أحد مطلوبات أجزائها غير الملفوظ به، سواء أكان ذلك المطلوب معجميا (التعدي واللزوم) أو مطلوبا نحويا كخبر المبتدأ، أو المبتدأ نفسه، وحذف الفاعل أو استتاره

---

[1] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي ، دراسة في فكر سيبويه، دار غريب، القاهرة، ط1، 2008م، ص369.

[2] – صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص213 .

[3] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص68 .

وكحذف الموصوف أو الصفة ...إلخ من المطلوبات نحويا وكان نظرهم في تمام الجملة أولا منصبا حول ما يضمر أو يظهر من الأفعال أو الأسماء، فذكروا في الفعل أن إضماره و إظهاره ثلاثة أضرب: ظاهر لا يحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره ومضمر متروك إظهاره "[1].

4- توضيفهم لبعض الأدوات دلاليا بحسب ما يقتضيه السياق وشغل هذه الأدوات لأكثر من وظيفة وذلك مثل " ما " التي تأخذ عدة وظائف دالية بحسب السياق اللغوي الذي وردت فيه .

فالسياق اللغوي باعتباره " يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها يحول مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير معروفة له."[2] فالبر غم من أن معنى بعض المفردات يتضح " بالنظر إليها وهي خارج السياق (سفرجل، جعفر، قلم)، ولكن المفردة تحتاج في بعض الحالات للسياق الذي يوضح ما يكتنفها من الغموض و الإبهام و ذلك لاشتراك الصيغ في الوزن (ثعلب، و يزيد: فعلان مضارعان وعلمان، صيغة فعل: شهد، ضرب، عدل، صيغة فعال: كتاب، كلاب، عتاب...)، يكشف السياق في حالات كهذه حقيقة الصيغة ويزيل الغموض والإبهام" ونجد أن تركيز " النحاة اهتمامهم على الزمن الصرفي من خلال الصيغ
الفعلية المعزولة عن سياقاتها و اعتبروا الزمن الصرفي زمنا نحويا كما أنهم لم يدرسوا الصيغ الأخرى التي يمكن أن تدل على الزمن مثل المشتقات في اسم الفاعل "[3].

وفي مقابل ذلك نجد أنهم "لم يربطوا بين الصيغ الصرفية والسياقات التي تأتي فيها في مثل هذه التراكيب: بعتك هذه السيارة لمن تحدثه الآن، ودعاؤك لمن مات قائلا: يرحمه الله، ونتيجة لهذا الاهتمام بالزمن الصرفي وفصله عن الزمن النحوي أو السياقي نجدهم يدرسون ما يمكن أن يكون قرائن زمنية في السياق على أنه أدوات تؤدي وظائف إعرابية ولم يذكروا وظيفتها الزمنية إلا عرضا، فلن تعمل في الأفعال المضارعة النصب في هذا التركيب: لن

[1] – المرجع السابق، ص69 .

[2] – محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب، القاهرة، مصر، 2006م، ص148 .

[3] – عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص111 .

يكتب، ولم تعمل الجزم في هذا التركيب، لم يكتب "[1]، هذا بالإضافة إلى عنايتهم بالنبر والتنغيم " فكليهما يعدان من القرائن اللفظية أو المقالية والقرائن اللفظية كلها من السياق اللغوي الذي يعين على تحديد دلالة الجملة. "[2] وانطلاقا من هنا نجد أن" حضور المستوى الدلالي و تداعيه في أي تركيب لغوي لا يرد ولا يدحض، ولا يمكن لنا أن نستدل بالعربية كلها، وهي منتهية في جملها حتى نثبت ما ندعيه من الأهمية الدلالية التي يفسر المستوى النحوي بدونها، حتى لو تعلق الأمر بفارق لهجي بين قبيلتين فإن لكل أداء و دواعيه الدلالية، وإما العنصر النحوي فليس إلا شكلا من إشكال هذه الدواعي الدلالية الداخلية في الأداء الكلامي(...) والمستوى الدلالي مرتبط بأنظمة التواصل في اللغة العربية ارتباطا وثيقا مع المستوى النحوي وسائر المستويات الأخرى"[3].

أما فيما يخص" ناحية توجيه الإعراب فإنهم كانوا يضفون على الكلمة وظيفتها الإعرابية بحسب ما يقتضيه السياق و يفرضه المعنى و يحاولون التنسيق بين السياق و القواعد الإعرابية إذا كان هناك تعارض بينهما ."[4]في حالة مصادفتهم لـ" ما يسمى:
تعدد الأوجه الإعرابية في الجملة، بحيث يكون اختيار كل وجه منها له ما يسنده من البناء اللغوي، وقدرته على تعدد العطاء الذي يتنوع بتنوع التفسير، لأن المعول في اختيار أحد التفسيرات على الآخر، يكون على فهم السياق، والمعنى الذي يحدده. "[5] ونحن نجد " أن كثيرا من أنماط الجمل العربية صالحا فيها تقدير أكثر من وجه إعرابي بالنسبة للكلمة الواحدة، ولهذه الاحتمالات الواردة مداخل وأسباب متنوعة، أهمها ما يتصل بالحذف الوارد في الجملة و تقدير المحذوفات تبعا لتصور المعنى وتحديده "[6].

---

[1] – كريم زكي حسام الدين، الزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية، ص208.

[2] – حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، ص158.

[3] – عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2004م، ص128 .

[4] – عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص140 .

[5] – خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام، القاهرة، ط1 ، 2009م، ص26 .

[6] – ممدوح عبد الرحمن الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دراسة في اتساع النظام والأساليب، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 1996م، ص202.

وفي مقابل عنايتهم بالسياق اللغوي فقد "كانت الدلالة الاجتماعية تشكل خيطا منهجيا وصفيا عند نحاة العربية أي تلك الدلالة المترتبة على سياق الحال (...) الذي يحدد الإطار و البيئة للحدث الذي يحيط بالظروف و الملابسات التي صاحبته ".[1] فاستحضارهم لعناصر الموقف الكلامي من سامع ومتكلم وظروف عامة، من المظاهر الوصفية، فقد "اعتنى النحاة بطريقة نطق المتكلم، بما فيها من تلوينات صوتية، سواء في ذلك ما كان مركزا على الجمل، وهو مرتبط بالمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع بهدف إبراز معلومة جديدة أو تأكيدها، في الجملة"[2].

فبالنسبة للسامع فنجدهم " قد عدوا علمه مسوغا للحذف، فهو يسوغ عندهم حذف المبتدأ و اسم لا النافية للجنس، وخبر (إن وأخواتها)، وصلة الموصول والعطوف والمفعول ..."[3] وفي ذلك يقول ابن السراج:"والمحذوفات في كلامهم كثيرة والاختصار في كلام الفصحاء كثير، موجود إذا أنسوا بعلم المخاطب ما يعنون"[4].

هذا بالإضافة إلى" أنهم راعوا في دراستهم لظاهرة التقدير والحذف، السياق الاجتماعي بكل ما فيه من و من فيه، و خصوصا المخاطب أو السامع الذي هو أهم عناصر السياق الاجتماعي، فالمحذوفات في صناعتهم على ثلاث أقسام: محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رايته يعطي الناس: "زيدا" أي أعط زيدا، فتحذفه وهو المراد ."[5] إما بالنسبة للتقديم والتأخير فهو يرجع كذلك إلى مراعاة حال المتكلم أو حال المخاطب أو للموقف بكامله، إذا يفترض أن بعض ما تشير إليه الألفاظ قد يكون خطابيا أولى بالتقديم[6].

"إذا كان هذا بعض شان النحاة من السياق بنوعيه، وإدراكهم له و تعويلهم عليه، فإنه لابد من الإشارة إلى التعويل على السياق نوعيه في تحليل الجملة عند النحاة العرب لم

---

[1] – ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص98 .

[2] – المرجع نفسه، ص95 .

[3] – المرجع نفسه، ص101 .

[4] – ابن السراج، الأصول في علم النحو، تح : عبد الحسن القتلي، ج2، ص341.

[5] – عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص140.

[6] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ص67.

يكن منصبا على الجملة التامة أو الكاملة، وإنما كان يتجه إلى الجمل الناقصة ولم يكن اللغويون معنيين إلا بما يقدمه في الكشف عن معنى المتعدد والمحتمل من الألفاظ المفردة"[1]
.

كان هذا شأن النحاة بصفة عامة بالسياق بنوعيه دون تفصيل، و سنحاول فيما يأتي أن نلقي الضوء على اهتمامات بعض النحاة به – أي السياق – ابتداء من سيبويه من خلال إلقاء الضوء على أفكاره التي ضمها "الكتاب" هذا مع أن الدراسات تشير إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) "كما يتضح من خلال كتاب تلميذه سيبويه، من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسته للتراكيب النحوية، كما يعتبر من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما، وعلم المخاطب بالمعنى إلى غير ذلك مما يرتبط بالمقام "[2].

سيبـــويه (ت175 هـ) :

جعل سيبويه الإعراب تابعا لما في نفس المتكلم من معنى، كما اعتنى بأثر ملابسات الحال في الحكم بصحة التركيب أو إحالته، فالجملة عنده " ليست بنية جامدة، ولكنها حية و متداولة بين متكلم ومخاطب و يراعي فيها المتكلم ما يأخذ باهتمام مخاطبه، فيقدم ما يجب تقديمه، و يؤخر ما يجب تأخيره، و يوجز إذا كان المقام يقتضي الإيجاز، ويطنب إذا كان المقام يقتضي الإطناب، ومثل هذه السمات المميزة لطبيعة الكلام كثيرة في كتب سيبويه"[3]هذا الأخير الذي" يمثل أولى المحاولات المكتوبة التي وصلتنا من التراث النحوي فهو يمثل أيضا قمة الدراسات النحوية التي سبقته "[4].

والملاحظ أن سيبويه "كان معنيا في كتابه باللغة المنطوقة فضلا عن المكتوبة، فاللغة المنطوقة تشكل حيزا كبيرا من (الكتاب)."[5] ونحن نجده "وهو في صدد أداء مهمته في إيضاح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب وتحليل الظواهر الإعرابية الموافقة لها

---

[1] – المرجع نفسه، ص77 .

[2] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص369.

[3] – إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية، للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا الكتب العالمي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2007م، ص325.

[4]– محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص430.

[5] – المرجع نفسه، ص428.

تعبيرا عن وظائف كلامية معروفة، يستعيد السياق الذي ولدت فيه و الجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافقت دلالتها مما سماه "الحال" أي المقام الذي قيلت فيه."[1] ومن هنا كانت عنايته بالسياق بشقيه في نظريته النحوية، وسنحاول فيما يأتي أن نلقي الضوء على جهوده فيما يتعلق بالسياق بنوعيه (اللغوي والعام) وذلك من خلال "الكتاب".

1- السياق اللغوي : يرتبط السياق اللغوي أشد الارتباط بترتيب العناصر اللغوية، وما يتعلق بها من تقديم وتأخير وذكر وحذف وإضمار، هذا بالإضافة إلى ما يصاحب ذلك أثناء الأداء الكلامي من نبر وتنغيم، ونحن نجد سيبويه قد أدرك هذه العناصر و أولاها الاهتمام، وسنحاول فيما يأتي أن نمثل لها.

أ- **التقديم والتأخير** :ينقسم التقديم عند سيبويه إلى ضربين " ضروري يكون المقدم فيه على نية التأخير وذلك إذا أبقيت المقدم على حكمه الإعرابي الذي كان عليه قبل التقديم، "كتقديم المفعول على الفاعل في نحو: ضرب عمرًا زيدٌ، وتقديم الخبر على المبتدأ في نحو: منطلقٌ زيدٌ، وضرب آخر لا يكون على نية التأخير، و إنما ينتقل المقدم من حكم إلى حكم ومن باب إلى آخر، ومثال ذلك قولك: هذا قائماً رجلٌ، ومن ثم يقبح أيضا أن نقول: قائمٌ زيدٌ، إذا لم تجعل الخبر (وهو قائم) على نية التأخير، لأن حدَ الجملة الاسمية أن يتقدم ما هو بالابتداء أولى".[2] وهو المعرفة فيقول في تقديم المفعول على الفاعل في مثل: ضرب زيدًا عبد الله " انك أنما أردت به مؤخرا ما أردت مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا ما أردت مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يُهمانهم ويعنيانهم ."[3] ويعني بقوله" جرى اللفظ كما جرى في الأول" إن اللفظ يحافظ على حكمه الإعرابي رغم تقديمه أو تأخيره وهكذا تكون "العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على الفاعل والمفعول في مثل الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية "[4].

---

[1] – صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو، ص215.

[2] – ينظر: محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص389.

[3] – ينظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص122،125، 127.

[4] – محمد سالم صالح، الدلالة و التقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص 389 .

ب-الحذف والإضمار : أشار سيبويه إلى الحذف الذي يتعلق بوجود دليل من سياق النص، إما يكون مذكورا في جملة سابقة أو لاحقة يفسر المحذوف ويدل عليه، ومن ذلك قوله:" ومما ينصب أيضا على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، قول العرب: حدَث فلانٌ بكذا وكذا، فتقول: صادق والله، أو أنشدك شعرا فتقول: صادق والله، أي قاله صادقا؛ لأنك إذا أنشدك فكأنه قد قال كذا"[1]، فكما نلاحظ أن السياق اللغوي للنص المذكور قد دل على الفعل المحذوف (قاله).

ج- الأداء الكلامــي: هذا وقد اعتنى سيبويه بالداء الكلامي وما يصاحبه من نبر وتنغيم" بوصفها جزء من السياق اللغوي للنص، لأنهما يرتبطان بطريقة الأداء الصوتي للكلام، من حيث الضغط على بعض المقاطع و التنغيم أو التلوين الصوتي للكلمة أو الجملة "[2]، ومن الأمثلة عليها قوله: "وإنما المستغاث به (فيا) لازمة له، لأنه يجتهد فكذلك المتعجب منه، وذلك: يا للناس، ويا للناس، ويا للماء، وإنما اجتهد، لأن المستغاث عندهم متراخ أو غافلٌ، والمتعجب كذلك، والندبة يلزمها (يا) و (وا)؛ لأنهم يختلطون ويدعون ما قد فات وبعُدَ عنهم، ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنمون فيها فمن ثم ألزموها المد و الحقوا آخر الاسم المد مبالغة في الترنم. "[3] وما لا يخفى على أحد أن " كلا من الاجتهاد والاحتلاط و الترنم ضرب من ضروب التنغيم أو التلوين الصوتي عند الأداء الفعلي للكلمة أو التركيب "[4].

لكن رغم عناية سيبويه بالسياق اللغوي إلا أنه كان على دراية كاملة بالسياق المقامي، فهو يشير دوما إلى العوامل الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، و" كأنه يرسم بذلك لأبناء اللغة أن يُساوِقُوا بين هذه المتغيرات و الوجوه الجائزة المناسبة عند استعمال اللغة "[5].

2- سياق الحــال : بما أن اللغة لا تنفك عن السياق الاجتماعي، إضافة إلى بنائها الداخلي نجد أن سيبويه "اعتبر موقف الاستعمال فيصلا لصحة التراكيب النحوية وخطئها، فقد يكون التركيب صحيحا في موقف و ربما لا يكون كذلك في موقف آخر".[6] وانطلاقا من

[1] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص271.
[2] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، ص400.
[3] – سيبويه، الكتاب، ج2، ص231.
[4] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، ص402.
[5] – المرجع نفسه، ص391.
[6] – ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلة في ضوء الناهج المعاصرة، ، ص100.

هنا نجده يقسم الكلام فيقول: "فمنه مستقيم حسن و محال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا، فأما المحال: أن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا و سآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيدًا يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس."[1] فكما نلاحظ أنه يربط صحة الكلام أو كذبه بصحة التركيب إلى جانب مواءمة الموقف الخارجي وما يناسب كلام العرب.

فقد تحدث في عدة مواضع من الكتاب حديثا غير مباشر عما يمكن أن نسميه سياق الحال، يقول تحت عنوان (هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي)" وذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج قاصدا في هيئة الحاج، فقلت : مكة ورب الكعبة حيث زكنت أنه يريد مكة، قلت: يريد مكة والله، أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس، فقلت: القرطاس والله أي: أصاب القرطاس ولو رأيت ناسا ينظرون إلى الهلال وأنت منهم بعيد، فكبروا، لقلت: أي الهلالَ ورب الكعبة؛ أي: أبصروا الهلال أو رأيت ضربا، فقلت على وجه التفاؤل (عبد الله)؛ أي يقع بعبد الله، أو بعبد الله يكون. "[2] وهكذا نجد سيبويه" قد اعتمد على سياق الحال في تقدير المحذوف، ذلك السياق الذي يدركه من هيئة المتوجه ووجهته، وبذا فقد ارتكز على عنصرين من عناصر السياق: ا- الوجهة التي يقصدها أو يهم نحوها هذا المتوجه.

ب- ما يرتديه من ملابس ومن ثم فقد نصب على هذا التقدير.

ومن هنا نرى أن سيبويه قد استحضر سياق الحال بأكمله حين استخدم التعبير بقوله :" رأيت " في كل الأمثلة السابقة، فليس هناك أكثر من الحضور و المشاهدة و الرؤية استكمالا للسياق". [3] كما يمكننا أن نحدد من خلال الأمثلة السابقة هذه العناصر:

- المرسل : المتكلم (الذي رأى / سمع ...).
- الحضور: الناس الذين (ينظرون الهلال، يكبرون).

---

[1] - سيبويه، الكتاب، ج1، ص24.

[2] - المرجع السابق ،ج1، ص257 .

[3] - ينظر: عبد النعيم خليل ، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص134، 135.

– الموضوع: الصرب، الصوم...الخ.

– المقام: أنت منهم بعيد (يصوب السهم، ثم أوقات هذه الأفعال التي تفهم اقتضاء و استلزاما أنها بالنهار أو الليل بالنسبة لمن يراقب الهلال).

– القناة: كلام أو إشارة.

– النظام: أسلوب الحذف[1].

وقد أرجع الإضمار إلى السياق الحالي في العديد من المواضع ومن ذلك قولك: "فإن النحويين مما يتهاونون بالخلف، إذا عرفوا الإعراب، وذلك أن رجلا من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: إنا عبد اللهِ منطلقاً، وهو زيدٌ منطلقاً كان محالا، لأن هانما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل (هو) ولا (انأ) حتى استغنيت أنت عن التسمية لأن (هو) و(أنا) علامتان للمضمر، وإما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من يعني، إلا أن رجلا لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه، فقلت: من أنت ؟ فقال: إنا عبد الله منطلقا في حاجتكَ، كان حسنا".[2] فحذف (عبد الله) و (زيد) إنما يكون للمعرفة بهما، ولكن في حال ما إذا فقدنا شرط المعرفة لسبب ما (خلف حائط)، هنا يحسن ذكر الاسم لان الضمير (أنا) لا يفي بالغرض .

فنجده"رحمه الله لا ينـي يؤكد على فرق آخر وهو قصد المتكلم في السياق المقامي الأول إلى الإخبار عن الحال (منطلقا)، أما في الثاني فالإخبار عن المبتدأ (أنا) و (هو) ثم في الدرجة الثانية عن الحال (منطلقا) "[3].

أما إن تحدثنا عن الشاهدة التي لها دور هام في الإبانة و التعريف بالمراد، فإن قول أحدهم: "أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة"، وقول سيبويه في النص السابق "إلا أن رجلا لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فيه... "، لها ما يبررها، فهي تفتقد عنصرا من أهم عناصر الموقف، هو "هيئة المخاطب ورد فعل الكلام عليه و استجابته له، وافتقد

---

[1] – ينظر: إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية و التداولية، للنظر النحوي عند سيبويه، ص324.

[2] – سيبويه، الكتاب ،ج2، ص80، 8.

[3] – إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية، للنظر النحوي عند سيبويه، ص315.

إلى الاستعانة بهيئته (نفسه) من حركة يد وتعبيرات وجه المتكلم ولو ولوجود حاجز (الحائط) الذي يحجب الرؤية"[1].

وما لا يخفانا أن سيبويه الأستاذ كان"يقدر أن مهمته في إفهام تلاميذه من أهل الحاضرة، جلهم من المولدين ومن أبناء المستعربين، يقضي أن يستعيد صورة المشاهدة و العيان، وهي العناصر غير اللغوية، لإيضاح فحوى هذه النصوص و معرفة قوانين إعرابها، و العناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطلق فيه الكلمة لها أيضا...أهميتها البالغة في هذا الشأن و جميعها لها تأثيرها المباشر على المعنى الدقيق للكلمات و هو ما لم يعارض فيه أحد معارضة جدية"[2].

من خلال ما سبق نتوصل إلى أن " سيبويه إهتم بجميع عناصر السياق غير اللغوي أو(الحال) كما يسميه بنفسه كالمتكلم و المخاطب والعلاقة بينهما وموضوع الكلام وأثر الكلام والحركة الجسمية المصاحبة للحدث الكلامي و غير ذلك من العناصر غير اللغوية المصاحبة للكلام المنطوق."[3] وخلاصة ذلك أن دراسة سيبويه تعد "دراسة ميدانية تنفيذية؛ إذ التزم بمنهج وصفي يتابع مجريات الواقع اللغوي المستعمل، رابطا السلوك اللغوي بالمحيط الخارجي و جميع ملابساته الاجتماعية و النفسية والفكرية والثقافية فانخرط في البيئة العربية التي دارت فيها المحاورات الكلامية بين الأطراف المتخاطبة لالتماس الحقائق اللسانية بجميع فروعها ودقائقها وأسرارها البلاغية و الدلالية، فأصبح تعامله مع الكيان اللغوي تعاملا حيا و فعالا (...) لنظرته إلى اللغة على أنها كائن حي وحساس مما يستوجب ضرورة إجراء المعالجات والتحليلات على ذاتها ولذاتها"[4].

وهكذا يلتقي عمل سيبويه مع أحدث الاتجاهات اللغوية مع تباعد الزمن و الشقة، إذ كان يعول على شقي السياق، على نحو ما قدمناه من أمثلة، مما "يجعلنا نقول دون تردد: أن سيبويه يعد بحق رائد النظرية السياقية، إذ طبق عمليا وبأحكام جميع عناصر هذه

[1] – ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص74.

[2] – صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو و تطبيقاتها، ص215.

[3] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص403.

[4] – دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دار دجلة، الأردن، ط1، 2007م، ص436، 437.

النظرية مع أدق تفاصيلها"[1]، ولعل استخدامه لمصطلح "الحال" الذي قد يعود إلى أستاذه الخليل، "يعد أقدم مصطلح في التراث العربي والنحوي ، يقترب من مفهوم سياق الحال في أيامنا"[2].

ابن الأنبـــاري (ت 328 هـ) :

كانت لابن الأنباري إشارات متعددة إلى سياق المقام و المقال، وخاصة ما أورده في كتابيه " الأضداد" فقد كان إلزاما عليه في كثير من الأحيان أن يتعرض لسياق المقام لإثبات التضاد، ومن ذلك الفعل "هم" في قوله تعالى:" ولقد همت به وهم بها "[3]، حيث يفسر ذلك بأن الهم منها غير الهم من يوسف عليه السلام، مراعاة لسياق الاجتماعي ، فيوسف عليه السلام نشأ في أسرة لا يتناسب معها ما يدل عليه المعنى المعجمي للفعل في الآية، فضا عن انه نبي قد استخلصه ربه و طهره[4]، يقول ابن الأنباري:"ومما يفسر في كتاب الله عز وجل تفاسير متضادة قوله جل اسمه :"ولقد همت به وهما بها " ، فيقول الناس: ما همّ يوسف بالزنا قط، لأن الله عز وجل قد أخلصه و طهره، فغير جائز أن يهم بالزنا، و إنما أراد الله عز وجل: وهم بضربها و دفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه متى ضربها كان ضربه إياها حجة عليه لأنها تقول : راودني عن نفسه فلما لم أجبه ضربني."[5] وهكذا نلاحظ أن شرحه لم يقتصر على المعنى المعجمي بل كان يربطه بالسياق الاجتماعي، وسياق النص الذي وردت فيه اللفظة، هذا الأخير الذي كانت له إشارة إليه جد واضحة و ذلك في قوله:" أن كلام العرب يصحح بعضه ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه و استكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم و الأخبار إلا معنى واحدًا"[6].

---

[1] – ينظر: محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص430.

[2] – المرجع نفسه، ص430.

[3] – سورة يوسف، الآية:24.

[4] – ينظر: عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص147.

[5] – ابن الأنباري (محمد بن القاسم)، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991م، ص411.

[6] – المصدر نفسه، ص02.

وهكذا يمضي ابن الأنباري في كتابه على هذا المنهج، فهو لم يكتف في تفسيره للتضاد بمعنى الكلمة مفردة، وإنما جاء بها في سياقها اللغوي ليدلل على ما يريد، و هذا ما يؤكد أهمية السياق اللغوي عندهم – النحاة – بالنسبة إلى هذه القضايا اللغوية ، كما أنهم راعوا في بعض الأحيان السياق الاجتماعي و ذلك بالتفاتهم إلى استخدام بعض القبائل العربية في صور خاصة تميزها عن بقية العرب، وفي ذلك مراعاة للسياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه، فالمكان عنصر هام من العناصر المكونة لهذا السياق"، يقول ابن الأنباري:"و يقال ارتجيتُ و رجيتُ ، بمعنى قال الشاعر:

فرجي الخير وانتظري إيانيَّ إذا ما القارض العنزي أبا

و جاء في الحديث: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه بميزان تربص لاعتدلا معناه بميزان مقوم، يقال ترض الميزان إذا قومه (...) و كنانة وخزاعة و مضر و هذيل يقولون: لم أرج، يريدون لم أبال"[1].

ابن جنـــي (321 هـ – 392 هـ):

لم يكن ابن جني أقل اهتماما من سابقيه في الدعوة إلى الأخذ بعين الاعتبار كل الظروف و الملابسات المحيطة بالحدث الكلامي، لما لها من دور كبير في تحديد المعنى و توجيهه، ويعد أحد أقطاب المعتزلة من النحاة الذين تنبهوا "إلى دور السياق في نقل الرواية، وذهب إلى أنه لا يكفي نقل المقال (بمعنى رواية الأقوال الطبيعية بما فيها الأشعار كما وردت بنصها عن أصحابها)، بل يلزم للناظر الناقد التفتيش عن أحوال الرواة حال قولهم، وما أحاط بهم من قرائن لفهم أقوالهم، وسمى هذه العملية الوصفية نقل الحال ."[2] فقد سبق هذا الفقيه الباحثين المحدثين والمعاصرين في الانتباه إلى هذا الأصل، بل استفاض في الحديث عنه، فنجده يعقد فصلا أو مبحثا في كتابه "الخصائص" يتحدث فيه عن دور المشاهدة و العيان و لكل العناصر غير اللغوية في أداء المعنى و توجيهه مركزا على وظيفة الإبلاغ في ذلك، ومن هذا المنطلق عد بن جني بأن " اللغة الطبيعية المتداولة بين

[1] – المصدر نفسه، ص187.

[2] – إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص304.

الناس، والتي يتواصل بها لا تكفي لوحدها في تبليغ المراد، بل يحتاج المتكلم بها إلى أمور منها حضور مخاطبه، ورؤيته له، إذ انكشافه ليس يستوي و اختفاءه عنه أو تكليمه له في الظلمة ."[1] وفي ذلك يقول: "أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: (يا فلان أين أنت أرني وجهك أقبل علي أحدثك، إما أنت حاضر ها هنا)، فإذا أقبل عليه و أصغى إليه اندفع بحديثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك، فلو كان استماع الآذان مغنيا عن مقابلته العين مجزئا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه "[2]. وهذا إن دل على شيء إنما " يدل على إدراكه قيمة المقام و أهميته في تشكيل النص، أضف إلى ذلك أن المقام عنده الذي عبر عنه في إحدى المواضع من كتابه "بالغائب" ويريد بذلك الظرف الذي قيل فيه النص".[3] فهو يستعين في بيانه لما قصدته العرب، بما يشاهده من أحوال المتكلمين ووجوههم، ممن أتيحت له رؤيتهم في أثناء حديثهم، أو يستعين بما نقله العلماء من أحوال المتكلمين وسجلوه، عمن لم يحضر حديثهم، وبذلك تكون الدلالة الاجتماعية رافدا من الروافد المهمة في درس الظاهرة اللغوية ...و كذلك قد أشار ابن جني إلى أهمية الحدث غير الكلامي، إضافة إلى الحدث الكلامي، في إدراك المعنى، فهو يرى أن التصرفات التي تبدر والملامح التي تشكل على الوجه تصور ما في النفس تصويرا يقسم على صدق القول. "[4] ومن ذلك قوله:"فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا – أي الرواة – تشاهده من أحوال العرب ووجوهها و تضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها (...) ألا ترى إلى قوله :[الطويل]

تقول – وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟ من غير أن يذكر صك الوجه،لا علمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكا الحال فقال: وصكت وجهها، عُلم بذلك

---

[1] – المرجع نفسه، ص311.

[2] – ابن جني، (أبي الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص247،246.

[3] – ينظر: صاحب أبو جناح، دراسات في النحو العربي وتطبيقاتها، ص216.

[4] – حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات اللغوية لدى القدماء، دراسة في ضوء المناهج المعاصرة، ص98.

قوة إنكارها و تعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال وغير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظُمَ الحال في نفس تلك المرأة أبين وقد قيل: ليس المُخبِرُ كالمُعاين..."[1] و يقول في سياق آخر:" أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه و جعلها دليلا على ما في النفوس. "[2] كما نجده يذهب إلى أبعد من ذلك " فيرى أن الحال المشاهدة (الحدث غير الكلامي)، يمكن أن ينوب عن اللفظ و يكون له تأثيره في بيان المعاني النحوية، التي تترتب عليها المعاني الدلالية "[3].

"وقد استند ابن جني في فهمه الحديث ما غاب عنا، و لم ينقل إلينا من أحوالهم إلى نظر سيبويه و فلسفته النحوية التي يرجح فيها أن يكون المتكلم أو السامع الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال و الأوائل."[4] ونجد إشارة أخرى إلى أهمية المقام – الذي عبر عنه في هذا الموضع بمصطلح "الحال" – في تحديد المدلولات المتعلقة بالمداخل المعجمية (المفردات)، بوصفها ألفاظا دالة متواضعا عليها في البيئة اللغوية المتجانسة، فيقول: " نعم، وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا (...) فيكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له و من أجله وقعت عليه التسمية و الآخر – لبعده عن الحال – لم يعرف السبب للتسمية..."[5].

هذا ولم يفته الحديث عن التنغيم و إن لم يذكره بلفظه بل بإجراءاته فيقول:" لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا وذلك نحو قولك: مررت برجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل لأن ما زائدة (...) و كقول الله سبحانه: "أ أنت قلت للناس."[6] إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيا، أي ما قلت لهم."[7] ويقول في موضع آخر: " ...وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من

---

[1] – ابن جني، الخصائص، ج1، ص245، 246.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص248.

[3] – حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات اللغوية لدى القدماء، دراسة في ضوء المناهج المعاصرة، ص99.

[4] – إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص304، 305.

[5] – ابن جني ، الخصائص، ج1، ص66.

[6] – سورة المائدة، الآية: 116.

[7] – ابن جني، الخصائص، ج3، ص269.

التطويح والتطريح والتفخيم و التعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول: كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بـ (و الله) هذه الكلمة، و لتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما، أو نحو ذلك. "[1] ففي هذا النص من إشارات على قدر من الأهمية، الكاشفة عن مصاحبات اللفظ من الأحوال الصوتية بـ (التطويح والتطريح والتفخيم و التعظيم والتمطيط و الإطالة ...)، مما فيه دلالة على معنى اللفظ (...) فقولك: "كان والله إنسانا " لا معنى له، إذ لا يخرج عن كونه كذلك، فلم" يبق إلا أن يكون متصفا بصفة حسنة أو قبيحة و لا يكشفها حين يقف النص على ذلك إلا مصاحباته الصوتية (التنغيم)، أو هيئة المتكلم من تعبيرات وجه و حركة يديه" [2].

وفي مقابل هذا كله نجده يشير الرتبة وأهميتها دلاليا و ذلك في قوله: " ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، وذلك لقوة العناية به فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكنه عندهم، وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل، إذ كن دلائل على الفاعلين، ومن هم و ما هم و كم عدتهم ونحو أفعل و تفعل و يفعل ..."[3].

انطلاقا من هذه النقاط السابقة نستطيع القول "إن ابن جني قد أدرك إدراكا تاما لا يقبل الشك مفهوم سياق الحال، بكل ما يعنيه هذا الاصطلاح عند المحدثين، إذا ما وضعنا في الاعتبار الفارق الزمني بينهما، وكذا المفهوم الذي عالج به كل منهما هذه النظرية".[4] ففي حديثه عن المتكلم و السامع وما يصاحب الكلام من عناصر غير لغوية " حكمة تداولية حيّة، تؤسس لقاعدة تواصلية تسبق عصرها بقرون من الزمن، حيث أن تعابير الوجه وتفاصيله و حركات المتكلمين فيما بينهم هي في ذاتها لغة و معان تكميلية دقيقة للعملية التواصلية، وهي موضوع درس جديد اليوم، يسمى بعلم الكنزياء."[5] وخير دليل على ذلك

---

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص372، 373.

[2] – ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص75، 76.

[3] – ابن جني، الخصائص، ج1، ص226.

[4] – ينظر: عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص156.

[5] – إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص312.

قوله:" و ليست كل حكاية تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يُشفع به شرح الأحوال النابعة له المقترنة به ، نعم ، ولو نقلت إلينا لم نُفِد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها. "[1]ومن ثم نجد أن " فالمرويات تحمل في طيها معلومات تظل تنقصها مكملاتها مما يحمله السياق من قرائن تفيد في إجلاء المعنى و صفاء الصورة، كما أن الجمل أو الملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقي (...)؛ أي أن تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حد ذاتها، لكنها كاملة إذا أخذ سياقها بعين الاعتبار، والتمام السياقي عندهم في مقابل التمام النحوي ."[2]

و هكذا نجد ابن جني في معالجته لهذه القضايا، يتفق مع المحدثين في ذلك وكذا في معالجة قضية الحذف والتقدير من ناحية أخرى (...)كما اتفق معهم – أي المحدثين –في معظم عناصر هذه النظرية – نظرية السياق – التي ينادي بها علم اللغة الحديث فسياق الحال أو المقام، هو عبارة عن مجموعة من العناصر التي يجب استحضارها عند الكشف عن الدلالة، تتمثل في "المتكلم والسامع و علاقة كل منهما بالأخر، و الزمان والمكان وما في الموقف من الأشياء والموضوعات التي تساعد على فهم الحدث اللغوي و حركات الشخوص و سلوكها والإشارات و الإيماءات (...) وكان ابن جني قد دعا علماء العربية إلى الأخذ بهذه النظرية من أكثر من عشرة قرون".[3] حين قال " ليت شعري إذ شاهدوا أبو عمرو وبن أبي إسحاق و يونس و عيسى و الخليل و سيبويه وأبو الحسن (...) ومن في الطبقة و الوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها و تقصد له من أغراضها، إلا تستفيد بتلك المشاهدة و ذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات و لا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب و غوامض ما في أنفسها ..."[4].

المبـــرد:

لم يكن المبرد أقل شأنا من سابقيه في هذا المجال –السياق– فقد لاحظ كغيره من النحاة "... ما يكون من تغير صفات الخطاب و عناصره وفقا لمنزلة المخاطب والأحوال التي

[1] – ابن جني، الخصائص، ج1، ص246.

[2] – إدريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص304.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص150، 155.

[4] – ابن جني، الخصائص، ج1، ص248.

تعتريه، مما يدخل في نطاق السياق العاطفي، الذي عده علماء اللغة الاجتماعي المحدثون مطلبا مهما لدراسة اللغة."[1] وأحسن مثال على ذلك قوله:" والدعاء يجري مجرى الأمر و النهي، وإنما سمي هذا أمرا و نهيا، و قيل للأخر: طلب للمعنى فأما اللفظ الواحد و ذلك قولك في الطلب: اللهم اغفر لي، ولا يقطع الله يد زيدٍ، وليغفر لخالدٍ، فإنما تقول: سألتُ الله، ولا تقل: أمرت الله، و كذلك لو قلت للخليفة: انظر في أمري أنصفني، لقلت: سألته، و لم تقل: أمرته ."[2] وهذا دليل واضح على إدراكه للسياق العاطفي و هو ما يفسره هنا بقوله:"لأنك تأمر من هو دونك، و تطلب إلى من أنت دونه"[3].

ومن الأمثلة على عنايته بسياق الحال قوله:" ألا ترى أنك تقول: غفر الله لزيد فلفظه لفظ ما قد وقع، ومعناه: أسال الله أن يغفر له، فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل، جاز أن يقع ما ذكرناه، ولم يفهم عن قائله إلا على ذلك ."[4] فعبارته "فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل"، " إشارة واضحة إلى سياق الحال أو المقام، وهو العنصر الاجتماعي في مقابل العنصر اللغوي الذي هو سياق اللفظ أو المقال، وكلاهما يتضافر لتكوين السياق العام الذي يرتكز على عنصري المقام والمقال "[5].

ابن هشـــام :

لم يتوان ابن هشام في اعتماد المعنى كعنصر هام من العناصر التي يجب أن يدركها المعرب أو النحوي في توجيهه الإعراب، و من ذلك "أن نحويا من كبار طلبة الجزولي سُئِل عن إعراب (كلالة) من قوله تعالى :" و إنْ كان رجلٌ يُورثُ كَلالةً أو امرَأةٌ ".[6] فقال: أخبروني ما الكلالة، فقالوا: الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل، فقال : فهي إذن تميز"[7]. وقد خطا ابن هشام هذا التخريج إذ يقول: "و الصواب في الآية أن (كلالة)

---

[1] – حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص193.

[2] – المبرد، القتضب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيرروت، ج2، ص44.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص132.

[4] – المصدر نفسه، ج2، ص325.

[5] – صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي، ص218.

[6] – سورة النساء، الآية: 12.

[7] – ابن هشام، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997م ، ص583.

بتقدير مضاف، أي ذا كلالة و هو أما حال من ضمير (يورث) فكان ناقصة و يورث خبر، أو تامة فيورث صفة، وإما خبر فيورث صفة، ومن فسر الكلالة بالميت الذي لم يترك ولدًا و لا والدًا فهي أيضا حال أو خبر، و لكن لا يحتاج إلى تقدير مضاف، و من فسرها بالقرابة فهي مفعول لأجله ."[1] فكما نلاحظ أن ابن هشام لا يكتفي بظاهر اللفظ أو معناه المعجمي، وإنما تعداه إلى ما يقتضيه المقام، ونجده يقول في موضع آخر: "و ها أنا مورد بعون الله أمثلة متى بني فيها على ظاهر اللفظ، ولم ينظر في معناه وجب المعنى حصل الفساد (...) فإحداها: قوله تعالى: "أَصلاتُكَ تأمُرُكَ أن نترُكَ ما يعبُدُ آباؤنَا أَوَ أن نَفعَل في أموالِنَا ما نَشَاءُ. "[2] فإنه يتبادر إلى الذهن أن عطف (أن نفعل)على (أن نترك)، "وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على (ما)، فهو معمول للترك، والمعنى أن نترك (أن نفعل)".[3] فهو هنا" لا يريد بالمعنى المعجمي، وإنما يريد الذي يقتضيه المقام و يوجبه، ولا يمكن إهماله والاعتماد على ظاهر اللفظ إلى جانب الشكل، لأن ذلك يؤدي إلى تحديد علاقات بين عناصر الجملة، تسلم إلى البعد عن المعنى المراد "[4].

و هكذا كان ابن هشام يشترط المعنى في إعراب الجملة وتحليلها إذ يقول: " و أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه منفردا أو مركبا "[5].

إن كان للبلاغين مقولتهم " لكل مقام مقال " و" لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، فإنه لم يكن أقل من هاتين العبارتين صدقا في تحليل اللغة ما سبق إليه النحاة العرب في مقولتهم " الإعراب فرع المعنى"، "فهذه المقولة أيضا من جوامع الكلم إذا فهمنا بالإعراب معنى (التحليل)، لأن كل تحليل لا يكون لا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مباني السياق."[6] فعلم النحو لا يقتصر على الإعراب، بل يتعداه ليشمل جميع قواعد كلام العرب حيث "أن تأثير عناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة يبلغ سبعين في المائة من درجة تأثير الكلام في مواقف الخطاب، مرجعها إلى ما تكون من النظرات المتبادلة عند الحديث، وأن قيمة

---

1 – المصدر نفسه، ص 583.

2 – سورة هود ، الآية: 87.

3 – ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص529.

4 – ممدوح عبد الرحمن الرمالي، العربية و الوظائف النحوية، دراسة في اتساع النظام و الأساليب، ص205.

5 – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص527.

6 – ينظر: محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص430.

الدلالة التعبيرية و تأثيرها يتدنيان إلى ثلاثين في المائة، حسب إذا اقتصر الأمر على مجرد الكلام المنطوق ."[1] و من هذا المنطلق لم يكتف النحاة بالتفسير المعجمي للمعنى بل" وجدوا أنفسهم مضطرين للنظر في الظروف المحيطة بالكلام (...) نشأ عندهم ما يسمى بالمستمع الافتراضي و هو الذي يُتَصَور في المتخيل لا في الواقع."[2] لأن ما بين أيديهم من مدونات تفتقر إلى ملابسات مهمة، لها دورها في بيان المعنى، فبسبب ذلك يجد النحوي نفسه أمام العديد من الاحتمالات والوجوه الإعرابية كما في مثل قولهم: " ذو الشيب يلعب"، الذي يحتمل أن يكون استفهاما إنكاريا بهمزة استفهام محذوفة، ويحتمل أن يكون إخبارا، و المعنى مختلف في الحالتين، يصبح مردودا في اللغة المنطوقة التي تتمثل فيها للسامع عناصر الموقف الكلامي حيث يسمع طريقة الأداء الصوتي وما يصاحبها من المتكلم من حركات أو إشارات أو نحو ذلك، فيميز من خلالها الإخبار عن الاستفهام، لذا "كان من الضروري استحضار سياق الحال في دراسة النصوص المدونة التي فقدت عنصرا هاما من عناصر السياق، يتمثل في الأداء الصوتي، وعلى قدر ما يمكننا استحضار من عناصره يكون فهمنا للمعنى من حيث الدقة و الوضوح، وهو ما سعى إليه النحاة كما لاحظنا فيما سبق."[3] "ولعل هذا هو سبب العتاب الذي وجهه سيبويه نفسه إلى طائفة من النحاة الذين كانوا يتهاونون بالقيمة الدلالية الناشئة عن الاختلاف في الأساليب إذا ظهر عندهم الإعراب، ويجعل سيبويه معرفة قبح و ضعف التركيب أمثل من إعرابه".[4] ، وهذا ما نجده في قوله:" فإن النحويين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب..."[5] فهو يشير إلى ضرورة الاهتمام بالدلالة و ا ترتبط به من ملابسات حالية مرتبطة بالتركيب، وهكذا كان إلزاما على النحاة مراعاة سياق الحال في جميع تخريجاتهم النحوية، ولكن كان إدراكهم للسياق " بزاوية خاصة تتفق و منهجهم في البحث الذي لا يرتكز على جانب واحد من جوانب الدرس اللغوي، بل يشمل على معظم الجوانب اللغوية مختلطة، فلا نجد أثرا علميا خالصا في فرع من فروع

[1] – صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي، ص215.

[2] – صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع هجري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 م، ص434.

[3] – ينظر: طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص218.

[4] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص431.

[5] – سيبويه، الكتاب، ج2، ص80، 81.

اللغة، بل جاءت إشاراتهم اللغوية مزيجا من النحو والصرف والأصوات و الدلالة، ومن ثم فإننا نجد لسياق الحال عندهم منبثا بين كثير من القضايا اللغوية كقضية الحذف أو البحث عن العامل في النحو أو قضية البحث عن المعنى في الدلالة" [1].

و انطلاقا من ذلك كان الإعراب عند هؤلاء النحاة " ليس قصرا على بيان أحوال أواخر الكلمات إعرابا و بناء كما هو شائع، وإنما يعني عملية التحليل النحوي الذي يعني ببيان الوظيفة النحوية لكل لفظ أو جملة في التركيب بما في ذلك العلامة الإعرابية التي تشير إلى هذه الوظيفة، والإعراب بهذا المفهوم لا يتأتى إلا بعد إتقان المعرب لأصول النحو، أو نظام التركيب للغة والوقوف على أسراره."[2] فكانت معرفتهم بالسياق بنوعيه اللغوي و غير اللغوي، أما سياق الموقف فقد أطلقوا عليه "الحال" أو "الحال المشاهدة" فكانت لهم في هذا الجانب إسهامات واضحة، حيث تحدثوا عن أطراف الموقف اللغوي – متكلم ومخاطب وموضوع الحديث و العلاقة المعرفية بينهما– ولكنهم لم يجمعوا ذلك في إطار نظري موحد، ولم تمثل هذه الإشارات الذكية نظرية متكاملة المعالم في الدرس النحوي على النحو المعروف الآن –في الدراسات اللغوية الحديثة "[3].

و في الأخير نصل إلى أن" دلالة السياق تمثل قمة وختام المعنى النحوي الدلالي بحيث يكتمل هذا المعنى بهما، (...) حيث يتكون المعنى الدلالي من المعنى المقالي الذي يشمل جميع المعاني الوظيفية الصوتية والصرفية والنحوية بالإضافة إلى المعنى المعجمي للكلمات المكونة للترتيب والمعنى المقامي الذي يعنى بالظروف الخارجية المصاحبة للمقال."[4] فالمعنى كما اتضح لنا "لا يثبت على حال و يتقيد بحال المتكلم و السامع، فإذا كان السامع في حالة حضور مع المتكلم، فلا يكون الفهم صعبا إذا توفرت الظروف الملائمة للطرفين، ولكن إذا كان المتكلم في حالة غياب طويلة، فإنه يتعين على المتلقي أن يصبح مؤولا استنادا لمرجعيات معينة ."[5] و هو ما اعتمد عليه النحاة في كثير من المواضع.

---

[1] – عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين، ص134.

[2] – محمد عبد الرحمن الرمالي، العربية و الوظائف النحوية، ص 209.

[3] – محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، ص372.

[4] – المرجع نفسه، ص431.

[5] – صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص418.

أولا : السياق في الدراسات الغربية:

بعد هذه النظرة الموجزة على تراثنا اللغوي، التي حاولنا من خلالها أن نبين ملامح النظرية السياقية في الدرس اللغوي العربي القديم، خاصة عند علماء النحو والبلاغة، والتي توصلنا من خلالها إلى أن فكرة السياق التي طرحها الغربيين في دراساتهم الحديثة خلال القرن العشرين لم تكن جديدة "وإنما كانت استمرارا لجهود الدرس اللغوي، و للعرب والهنود السبق في هذا المجال، ولعل من الإنصاف القول بأن هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعيـة، ووضعوا لها المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير"[1].

فقد كانت سنة 1916م من القرن العشرين بمثابة الحدّ الفاصل بين نمطين مختلفين من الدّراسة اللغوية، فانطلاقا منها لمع نجم دراسات جديدة، تمخض عنها ميلاد علم جديد، هذا العلم الذي تميّز بخصائص ومبادئ افتقر لها الدّرس القديم، من أهمّها: استحداث مناهج أكثر دقة وعلمية في معالجة المسائل اللغوية، "وتأسيس مدارس مختلفة كان لها الدّور الكبير في تثبيت دعائم هذا العالم، وتَنَاوُل أهم قضاياه بالدّراسة والتحليل وفق منهج علمي محض".[2] لذلك أصبح هذا التصور الواعي لحقيقة الدراسة اللغوية، دعامة نظرية تكون أساس كل محاولة تسعى إلى وصف الظاهـرة، و تحليلها علمياً. الأمر الذي جعل "جون ليونز" (J.Lyons) يقول في هذا الشأن:" يمكن لنا أن نميز إلى حد الآن بين عدد كبير من المدارس في ميدان اللسانيات..."[3]؛ ومن بين هذه المدارس التي يشهد لها التاريخ بذلك، "المدرسة الإنجليزية الاجتماعية"، أو كما يطلق عليها بعض المحدثين اسم "المدرسة الفيرثية" نسبة إلى "جون فيرث" (J.Firth) الذي يرجع إليه الفضل في تأسيسها، و تثبيت دعائمها الحديثة.

[1] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص165.

[2]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية. حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط4، 2000م ، ص3.

[3]– المرجع نفسه، ص4 .

"ولئن كانت هذه النظرية تعد - كما يقول هلبيج (HELBIG) الإسهام الحقيقي للغويين الانجليز في مجال الدراسات اللغوية بعامة، والدرس الدلالي على وجه الخصوص، فإن هذه الجهود الانجليزية سبقتها جهود أخرى ربما مهدت لها وأوصلت إليها[1].

فإن كانت هذه النظرية ترتبط بفيرث إلا أنه قبل أن يُثبت "فيرث" دعائم هذه المدرسة و يؤسس لها، كان للدرس اللغوي في بريطانيا جذوراً تاريخية تمتد حتى القرن الحادي عشر للميلاد، حيث تركزت جهود اللغويين خلال هذا القرن على ميكانيزمات الوصف اللغوي، قصد انتقاء لغة رسمية فصيحة من بين اللهجات المستعملة في مختلف أنحاء الجزيرة، ولظروف سياسية واقتصادية، تم اختيار الإنجليزية لغة رسمية لإنجلترا(...) و ما إن حل القرن السادس عشر للميلاد، حتى ازدهرت بعض الدراسات اللغوية، "كعلم اللفظ" (Orthoepy)، الذي يهدف إلى تحسين طريقة الكتابة بضبط النطق الصحيح للحروف والكلمات والجمل، و "إصلاح التهجئة"(Spelling)، الذي يهدف إلى تحسين طريقة الكتابة لتتطابق الفونيمات مع الغرافيمات(...)، و "صناعة المعاجم و علم اللهجات" [2] (Dialectology).

أما القرن الثامن عشر للميلاد، "فتميز باكتشـاف"وليم جونـز"(William Jones). (1746-1794)لعلاقة القرابة القائمة بين اللغة السنسكريتية، واللغات الأوروبية الكلاسيكية (اليونانية اللاتينية)".[3] في حين تميّز القرن التاسع عشر الميلادي، بتوجه"... جمع من علماء بريطانيا على دراسة الأصوات الغوية دراسة وصفية موضوعية، حيث اشتهرت عائلة اسكوتلندية بالصوتيات العامة، وكان منها فكان منها"ألكسندر مالفيل بال"(Alexandre) (1819Malville Bell–1905م)؛ "الذي حاضر لأول مرة على طريقة الخطابة والإلقاء (elocution) بجامعة ادينبارغ في منتصف القرن التاسع عشر ثم بجامعة لندن بعد ذلك، وقد توّج نشاطه الأكاديمي بتأليف كتاب بعنوان: "الكلام المرئي، علم الأبجدية العالمية" (1867م). و بعـد الأب جـاء دور ابنه: "ألكسندر غراهام بال" (Alexandre Graham

---

[1] –ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص165.

[2]- ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط12، 2002م ، ص170.

[3]– ينظر: حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م ، ص33 .

(Bell"[1] (1834-1911) الذي اخترع جهاز الهاتف، وكان بذلك مساهما في الدراسات المتعلقة بعلوم الاتصال، وهكذا كان لهذه العائلة أثر عظيم في تطوّر الدراسات الصوتية وعلاقتها بعلوم الاتصال.

نشير هنا أساس رؤية بعض الأروبيين للسياق" هو تاريخ لغاتهم؛ أي كثرة مصادرها، وتعدد أطوارها، حتى تغيمت معاني كلماتها؛ " فأصولها سنسكريتية وجرمانية ويونانية ولاتينية ولغات قبائل سكسونية وانجليزية(...) وهي مع ذلك اقتراض بعضها من بعض ولا ترع الصورة الحديثة الحالية الانجليزية مثلا إلى أكثر من ثلاثة قرون أو أربعة"[2].

من خلال هذا العرض التاريخي الموجز لتلك الحقب الزمنية، يتضح أنّ الدّرس اللغوي الانجليزي كان يفتقر إلى منهجية علمية دقيقة في دراسة الظاهرة اللغوية، لكن ما إن حلّ القرن العشرين حتى أصبح التحليل المنهجي والوصف العلمي الدّقيق سمة مميّزة للدّراسات اللسانية في بريطانيا، وكان هذا التطوّر في مجال الدّراسة اللغوية بفضل نخبة من الباحثين، نذكر منهم:

هنري سويت (Henry Sweet) (1845 – 1912) :

يعد من أبرز أعلام الدراسة اللسانية في بريطانيا " فبعد ما قضىٰ ردحاً من عمره في أحضان اللسانيات التاريخية والمقارنة، اجتذبته أعمال كل من "مالفيل" (Malville) و"غراهام بال" (Graham Bell)، وتأثر بها تأثّرا شديدا، حتىٰ أصبح مع نهاية القرن التاسع عشر، باحثا ذا سمعة عالمية كبيرة. وفي سنة 1902م، كتب رسالة إلىٰ نائب عميد جامعة أوكسفورد، واصفا فيها الصوتيات (Phonties) على أنّها:"موضوع غير نافع في حدّ ذاته، يبدأ أنّه في الوقت نفسه، يُعَدُّ أساس كل دراسة لغوية، سواء كانت نظرية أم تطبيقية"[3]. وكان نتاج دراسته الصوتية، تألّيفه كتابا بعنوان: كتيّب الصوتيات (1877م). (Hand Book of phoneties)،والذي"تناول فيه تنظيم الكتابة الصوتية(...)وعلاقتها بإصلاح التهجئة وتعليم اللغات. وقد وصف "أونيونز" (C.T.Onions) كتيّب الصوتيات هذا في قاموس البيوغرافيا الوطنية(...) بأنّه لقّن أوربا دروسا في الصوتيات وجعل من

---

[1] - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص170.

[2] –صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص370.

[3]– أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ص 171.

تمهيــــد:

لاشك بأن النظرة السابقة التي ألقيناها على تراثنا اللغوي، و التي هدفت إلى تبيان ملامح النظرية السياقية في الدرس اللغوي العربي القديم و بخاصة عند علماء النحو و البلاغة، والتي توصلنا من خلالها إلى أن فكرة السياق التي طرحها الغربيون في دراساتهم الحديثة خلال القرن العشرين لم تكن جديدة،" و إنما كانت استمرارا لجهود الدرس اللغوي، و للعرب و الهنود السبق في هذا المجال، و لعل من الإنصاف القول بأن هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية و صرفية و نحوية و اجتماعية و وضعوا لها المعايير و الإجراءات مما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل و التفسير "[1].

و سنحاول في هذا الفصل أن نبرز معالم هذا الالتقاء بين ما حوته بطون البحوث العربية القديمة و ما جاء في النظرية السياقية، و ذلك من خلال دراسة النقاط التالية:

أولا- المكوّن الاجتماعي (المقام):

حسب منظور النظرية السّياقية، نجد " أنّ الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة أو خيوطٍ من صنع الكلمات، فهناك مكوّن لا كلامي يُفْرَضُ دائما وبالضرورة فوق المكوّن الكلامي في كل وحدة كلامية محكية"[2]؛ لأنّه مهتم في تحديد معناها كأهمية الكلمة في تشكيل التركيب اللغوي، و ذلك على اعتبار أنّ المعنىٰ ليس وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت و صورة، و لكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال".[3] فالسّياقيون يعتبرون "الظواهر اللغوية خاضعة لضغوط سياقية واعتبارات غير لغوية، و هذا ما اصطلح عليه جون فيرث(John Firth) بالمكون الاجتماعي، نظرا لما له من صلة بخلق الدّلالات و توجيهِها بالتضافر مع المكونات الكلامية (اللغوية) ذات الصلة بالبنىٰ النحوية"[4].

[1] – ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، ص165 .

[2]– جون لاينز، اللغة و المعنىٰ و السّياق، تر: عباس صادق الوهاب،دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1987 م، ص27.

[3]– ينظر: رشيد بالحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص8.

[4]– ينظر: المرجع السابق ،ص1.

ما تجدر الإشارة إليه حسب هذه الحقيقة المنهجية، أنّ اللغويين العرب قد طرقوا هذه الحقيقة في دراسة المعنىٰ الاجتماعي، حين قدّموا " فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنىٰ الاجتماعي، و أوّل هاتين الفكرتين فكرة "المقال"(...) و الثانية فكرة المقام(...)، و أنبل من ذلك أنّ علماء البلاغة، ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنىٰ؛ العبارة الأولىٰ "لكل مقام مقال"، أمّا الثانية فلكل كلمة مع صاحبتها مقام."[1] فالمقولتان تقرّران من" الوجهة العلمية مبدأ يصح تطبيقه على جميع الاتجاهات و المدارس في العلوم اللسانية خاصة والإنسانية عامة، هذا المبدأ هو وجود علاقة لا يمكن تجاوزها تنظيرا و تحليلا، بين المقال و ما يكتنفه من ظروف و مواقف و سياقات اجتماعية".[2] و ذلك أن النحاة و البلاغيين حين اعتدّوا بالمعنىٰ على اختلاف صوّره في معالجة الظاهرة اللغوية وتفسيرها، وجدوا أنّ العناصر التي تشكله متنوعة و متشابكة، و بالتالي لا بد من دراسة كل المعطيات اللغوية و غير اللغوية المتعلقة بالنّص، و لا سيما المضامين و المدلولات التي يولّدها الاستعمال في سياق معيّن، و تشمل هذه المعطيات:

- المتكلم و المخاطب/ المتلقي، و كل ما يتعلق بهما من معتقدات و مقاصد و تكوين ثقافي و معرفي...إلخ .
- "السّياق بِبُعْدَيْه؛ الدّاخلي ممّثلا بعناصره المكوّنة و ما تشمل عليه من قرائن لفظية ومعنوية، و الخارجي بما يكتنفهُ من ظروف مكانية و زمانية و ظواهر اجتماعية مرتبطة باللغة، حيث تسهم معطيات السّياق بنوعيه، في تكوين أنماط من التّراكيب تتباين دلالاتها و تتعدّد وفقا لفهم المتلقي لها"[3].

وعليه فالمكوّن الاجتماعي و ما يقتضيه من مصطلحات (سياق الموقف، السّياق اللغوي)، "لم يكن وليد المدارس الحديثة وحدها، فحين أشار اللغويون إلى تأثير دلالة المقال، والمقام الملابس له، على العناصر النحوية و البلاغية من حيث الذّكر والحذف،

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها مبناها، ص20.

[2]- ينظر : رشيد بالحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص7.

[3]- ينظر: عبد الحميد السّيد، دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة ، رؤى تحليلية ، دار الحامد ، عمان ، الأردن ، ط6 ، 2003 م، ص96، 97.

والتقديم والتأخير..."[1]، و حين اهتم النّحاة أيضا بالعوامل الاجتماعية في اللغة، " لم يقتصروا على النّظر في بنية النّص اللغوي، كما لو كان شكلا منعزلا عن العوامل الخارجية التي تلفه و تحيط به، و إنّما أخذوا مادتهم اللغوية(...)على أنّها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه و ظروفه، كما فطنوا إلى أنّ الكلام له وظيفة و معنىٰ في عملية التواصل الاجتماعي، و أنّ هذه الوظيفة و ذلك المعنىٰ لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام و ما فيه من شخوص و أحداث، كانوا بكل ذلك قد أسسوا لفكر لغوي متأخر عنهم بآلاف السنين"[2].

فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنّه" يمثل "السّياق اللغوي"، و إلى "المقام" على أنّه يمثل "سياق الموقف"، و جدنا ذلك واضحا عند البلاغيين و النحاة على اعتبار أنّ هذه الفكرة تمثل لُبَّ دراسة المعنىٰ عندهم ".[3]

فهذا " سيبويه يجمع في كتابه بين التفسير اللغوي و ملاحظة السّياق –كما سبق بيانه– إذ وجدْنا أنّه أولىٰ كلاًّ من السّياقين اهتماما كبيرا مع بيان أثرهما في مباني التراكيب من حيث الذّكر و الحذف، أو التقديم و التأخير..."[4]و يتّضح اعتداده بالسّياق اللغوي من خلال نموذج سوّغ فيه حذف أحد العناصر اللغوية؛ لأنّ السّياق اللغوي يدل عليها، و ذلك في قول الشاعر :**[المتقارب]**[5].

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرأً وَنَـارٍ تُوقِدُ بِاللّيْلِ نَارًا؟

حيث حذف الشاعر (كُلَّ) في الشطر الثاني و التقدير (كلَّ نارٍ)، يقول:"فاستغنيت عن تثنية كل لذكرك إياه في أوّل الكلام، و لقلّة التباسه على المخاطب"[6].

أمّا اهتمامه بسياق الموقف فنلاحظه عندما "يتّسع في تحليل التراكيب إلى وصف المقامات الاجتماعية التي تستعمل فيها، و ما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب و

---

[1]– حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التّداولية، باب الذّكر و الدّعاء أنموذجا، ص47.

[2]– محمد صالح سالم، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنىٰ، ص11، 12.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص8،7 .

[4]– ينظر: المرجع نفسه ، ص14.

[5]– سيبويه، الكتاب، ج1، ص66.

[6]– المصدر السابق، ج1، ص66.

حال المتكلم، و العلاقة بينهما."[1] و من أمثلة اعتداده بالعلاقة بين المتكلم و المخاطب، اعتباره "أنّ (قد) تكون في جواب لمن قال: لمّا يفعل، فتقول في الجواب: قد فعل، –و هو في هذا الرّأي يأخذ برأي أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 172هـ)– الذي زعم أنّ هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، فالمخاطب في حاجة إلى تأكيد الجواب، و هنا لا بد من أن يراعي المتكلم حال المخاطب"[2].

فسيبويه و هو بِصَدَدِ آداء مهمّته في إيضاح الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب..."يستعيد السّياق الذي ولدت فيه و الجَوَّ الاجتماعي أو النفسي الذي رَافق وِلاَدَتهَا ممّا سمّاه "الحال" في غير موضع من كتابه؛ أي المكوّن الاجتماعي الذي كوّنَها حسب المفهوم الحديث، وهو بذلك يدرك أنّ مهمّته في إفهام تلاميذه...تقتضي أن يستعيد صورة المشاهدة و العيان؛ لإيضاح فحوىٰ مختلف النصوص".[3]

و هذا الرّأي نفسه –أي الاعتداد بصورة المشاهدة و العيان في تحديد المعنىٰ على اعتبار أنّها مكوّن لا لغوي من مكوّنات المقام – هو ما ذهب إليه "ابن جني"، فيما سبق ذكره من الأمثلة، فابن جني" كان مدركا تمام الإدراك لأهمية المقام الاجتماعي الذي قيلتْ فيه النّصوص، و ما له من دور في تحديد المعاني دون اللجوء إلى إعمال عقل، أو استحداث تفسيرات قوامها الاعتبار القائم على الظّن"[4].

و عليه يمكن أن نقول إنّ هذا المذهب تأكيد واضح على ضرورة ربط المقالات بمواقفها الاجتماعية من أجل تحديد الدّلالة و فحوىٰ التراكيب اللغوية تحديدا صحيحا و لعل هذا ما قصده فيرث (Firth) فيما بعد، حين رأىٰ أنّ مكوّنات اللغة لا بد أن تدرس وفق مكوّنات اجتماعية بحتة بالتركيز على العلاقات المختلفة التي تربط اللغة بالمجتمع".[5] أنّ المعاني " يتم تكوينها و تحويلها و تعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدّثون و الكُتَّاب في مواقف معينة"[6].

---

[1]– حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التّداولية، باب الذّكر و الدّعاء أنموذجا، ص47.

[2]– ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص 223.

[3]– ينظر: صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي و تطبيقاتها، ص215.

[4]– مهدي أسعد عرار، جدل الفظ و المعنىٰ، دراسة في دلالة الكلمة العربية، ص53.

[5]– ينظر : أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التّطور، ص175.

[6]– جون لاينز، اللغة و المعنىٰ و السّياق، تر: عباس صادق الوهاب، ص215.

و إذا ما التفتنا إلى البلاغيين، من أمثال الجاحظ، و الجرجاني و السكاكي – حسب ما جاء في الفصل الثاني– رأينا منهم كذلك عناية بسياق الحال أو المقام حسب تعبيرهم، هذا المقام الذي يمثل عندهم " الشّق الاجتماعي من شقي السّياق العام؛ فمقام الفخر غير مقام المدح، و هما يختلفان عن مقام الدّعاء أو الاستعطاف أو الهجاء أو غير ذلك، و عبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال"، تدُلّ على تمييزهم بين شقي السياق ."[1] مكوّن لغوي، و مكوّن لا لغوي (خارج عن نطاق اللغة)، و بذلك "يتجلىٰ إدراكهم لدور هذا المكوّن الخارجي في توجيهه مَعْنىٰ اللفظ، و توليده لمعانٍ تختلف باختلاف السّياقات و مقتضيات الأحوال"[2].

وعليه يمكن اعتبار أنّ مصطلح المكوّن الاجتماعي، إنّما هو صورة لفظية مستحدثة للفكرة التي حملتها عبارة "لكل مقام مقال".فعندما يقول أبو هلال العسكـري (–400هـ): "إنّ الغضب يكون من الصغير إلى الكبير، و من الكبير إلى الصّغيـر و السّخط لا يكون إلاّ من الكبير على الصغير، يقال سخط الأمير على الحاجب، و لا يقال سخط الحاجب على الأمير،(...)كما أنّ "الإنسان يجُوزُ أَنْ يَغْتَاظ من نفسه، و لا يجوز أن يغضب عليها، و ذلك أنّ الغضب إرادة الضّرر للمغضوب عليه، و لا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه".[3] فإنّ ذلك لا يتعدّىٰ أن يكون اعترافا منه بشرعية مفهوم المكوّن الاجتماعي في تحديد دلالة التركيب اللغوي، فمن خلال المقام الاجتماعي الذي يدور فيه الكلام و يتكوّن من خلاله التركيب اللغوي، يتم إدراك التفاوت الدّلالي بين الألفاظ رغم اتحادهما في المعنىٰ العام، و هذا ما يؤكّده أبو هلال العسكري من خلال بيانه الفروقات الدّلالية فيما بين الغضب، السّخط والغيظ، و إن كان معناها العام واحد، و لكن هذه الفروقات لا تتّضح إلاّ بإدراك المواقف الاجتماعية التي تقال فيها"[4].

من خلال ما سبق يتّضح أنّ اللغويين العرب، من نحاة وبلاغيين، قد وقفوا على جملة من القوانين الهامة و"التي بموجبها تبلور لديهم مفهوم السّياق بكل ما يقتضيه من

---

[1]– طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنىٰ عند الأصوليين، ص223.

[2]– صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي و تطبيقاتها، ص220.

[3]– ينظر: أبو هلال العسكري، الغروق، تح: أحمد سليم الحمصي، دار جروس، طرابلس، لبنان، ط1، 1994م، ص141.

[4]– ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص157.

مصطلحات حديثة(مكوّن اجتماعي، سياق لغوي سياق غيرلغوي)، كدليل إضافي يعين اللغة على أداء المعنىٰ المقصود".[1] لإدراكهم الدّور الأكثر أهمّية الذي يشغله هذا المفهوم في نظرية المعنىٰ،" ومن ثَمَّ انطلقت جلّ تحليلا تهم من تصوير الموقف الذي أُطلِقَ فيه النّص أو ارتُجِل فيه،حتىّ يتيسّر للمتلقين الوقوف على مجمل الملابسات والدّواعي التي رافقت عملية التعبير وأسهمت في توجيهها واختيار الصيغة الملائمة لها"[2].

وعليه يمكن القول إنّ اللغويين عند اعترافهم بفكرة "المقام" " كانوا متقدّمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأنّ هذه الفكرة بوصفها من أسس تحليل المعنىٰ، تُعَدُّ الآن في العالم الغربي من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراستة اللغة

ولم يكن جون فيرث(John Firth)، وهو يَصُوغُ مصطلح المكوّن الاجتماعي، يَعْلَمُ أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو يزيدْ، لأنّ الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجّلوه في كتبهم تحت مصطلح "المقام"[3]، ثُمَ تعاملوا بهذا المصطلح" وفق طريقة ما كانت لتُمَكِّن من تأسيس نظرية متكاملة المعالم في الدّرس اللغوي القديم تَضْمَنُ حضوره في مختلف البيئات اللغوية الحديثة"[4].وبالتالي نستنتج أنّ اللغويين العرب قد أدركوا مفهوم المكوّن الاجتماعي، فكانوا ودون دراية منهم، سَابِقي العلم الحديث في التأسيس والتنظير لمثل هذه الفكرة رغم اختلاف المصطلحات في ذلك.

ثانيا-العلاقات الموقفية والبلاغة العربية:

حين قال البلاغيون " لكل مقام مقال " و " لكل كلمة مع صاحبتها مقام " "وقعوا بذلك على عبارتين من جوامع الكلم، تصدقان على المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، و تصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء ".[5]

---

[1]-ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص8.

[2]- صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النّحو العربي و تطبيقاتها، ص213.

[3]- ينظر: محمد صالح سالم، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التوصل إلى المعنىٰ، ص25.

[4]- المرجع نفسه ، ص12.

[5] – تمام حسان ، اللغة العربية، معناها و مبناها ، ص372 .

ولم يكن جون فيرث (John Firth) وهو يصوغ مصطلح العلاقات الموقفية (Situational relations) يعلم أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، وذلك أنّ مفهوم هذا المصطلح إنّما حملته فكرة المقام منذ زمن الجاحظ، وابن قتيبة، والجرجاني والسكاكي، فحين قال الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتىٰ يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات."[1] فكان من خلال عملية التطبيق (المطابقة) هذه، "يؤسس لنظرية كاملة في الاكتشاف والإبداع ذات صبغة علمية محضة(...) وذلك أنّ اكتشاف المعاني والألفاظ اللائقة بها، وتبليغها إلى المستمع مع اعتبار الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة به، وكل الملابسات الخارجية للحدث الكلامي، تقرّبُهَا وبصفة عجيبة من بعض ما قاله العلماء المُحْدَثُونَ في مجَال اللغويات المعاصرة"[2].

وبالتالي لا يمكن اعتبار المطابقة اللغوية (مطابقة الكلام للمستمع ولمقتضىٰ الحال) عند الجاحظ، في مقابل علاقات الموقف بالنّص، إلاّ شكلا لفظيا مختلفا عن هذا المصطلح الحديث في التعبير عن مفهوم موحّد في مجال اللغة، وأيضا، حين" اعتبر "ابن قتيبة" مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال" عاملا أساسا من العوامل التي ينبغي للكاتب أن يأخذها بعين الاعتبار؛ لأنَّ بها تتأتىٰ بلاغة الكلام، وبواسطتها تتحقق غاية الإفهام"[3] بقوله: " وَ نستحبُّ له أيضا (الكتاب)أن ينزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكُتَّابَ قد تركوا تَفَقُّدَ هذا من أنفسهم، وَخَلَّطُوا فيه(...) بل "لكل مقام مقال"[4].

وعندما نظرَ الجرجاني في التراكيب اللغوية ودراستها في ارتباطها بالسياقات الكلامية المختلفة والأحوال التي تتعلق بها

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص138، 139.

[2]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص159.

[3]- عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص21.

[4]- ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص20، 21.

ولَمَّا لخَّصَ السكاكي المعاني البلاغية، والتي يقصد بها "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان..."[1] في العلاقات الآتية: علاقة الكلام بالحال، علاقة الكلام بالسيّاق، علاقة الكلام بالأشخاص، علاقة الكلام بالأشخاص، علاقة الكلام بالزّمان، علاقة الكلام بمقتضىٰ الظاهر، وعلاقة الكلمات ببعضها البعض داخل الجملة..."[2].

و هكذا كان هؤلاء و غيرهم يؤسسون للفكرة التي تدور حولها "النظرية السّياقية" في الوقت الحاضر، وبالتالي تعتبر" فكرة "المقام" –في البلاغة العربية– قد حدّدت مسبقا الأساس الذي يَنْبَنِي عليه الشّق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنىٰ الثلاثة (الشق أو الوجه الوظيفي، والوجه المعجمي والوجه الاجتماعي) وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات الموقفية والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة آداء المقال"[3].

وحين اعتبر البلاغيون مخالفة ظاهر اللفظ معناه طريق البلغاء، إنّما استندوا في تحديد المعنى المقصود إلى قرينة المقام وعلاقتها بالمقال، لأنّ البليغ وحده –حسب نظرهم– هو الذي يمكنه أن يدرك العلاقة بين المقام والمقال فيما إذا كان متلقيا، وأن يعقد هذه العلاقة فيما إذا كان متكلِّمًا، وعلى أساسها يتحدّد المعنىٰ في هذه الحالة، " نحو أن تقول ساخرا أو ذاما: "أنت أشعر من المتنبي"، و"هو أجود من حاتم" و"أنت أنحىٰ من سيبويه" فحقيقة المعنىٰ مخالفة لظاهر اللفظ، والذي يبيّن أنّ هذا من باب الذّم لا من باب المدح، المقام الذي تقال فيه العبارة"[4].

وحين يُعَلِّقُ الجرجاني على قول الصّلتان العبدي:[المتقارب][5]

"أَشَـابَ الصغيرَ وأفْنَى الكبيـ رَ كَرُّ الغداة ومرُّ العَشِـيِّ.

وقول ذي الأصبع:[المنسرح][6]

أهْلَكَناَ الليْلُ والنّهـارُ معًا والدَّهرُ يغْدُو مُصَمِّمًا جَذِعَا.

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم،،ص77.

[2]-ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدّراسات الحديثة، ص48.

[3]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص337.

[4]- ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص65، 66.

[5]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص286.

[6]- المصدر نفسه،ص286.

بقوله: " كان طريق الحكم عليه بالمجاز أنْ تعلم اعتقاد التوحيد إمّا بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأنْ تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النَّحوِ ما يكشف عن قصد المجاز فيه..."[1] يَتَبَيَنُ وبوُضوحٍ كبير، أنَّهُ يشترط علاقة بين كلام الشاعرين وبين حالتهما أو بين موقفهما الكلامي، حتى يتمكن من الحكم عليهما فيما إذا كان كلامهما من باب الحقيقة أو المجاز، " فلو ثبت أنّ معتقد الشاعرين نسبة هذه الأفعال للزّمن، فالتعبير حقيقة(...)أمّا إذا ثبت اعتقادهما للإسلام، فإنّ نسبة هذه الأفعال إلى الدّهر مجازٌ في التعبير منهما"[2].

وبالتالي يمكن أن نقول أنّ كلّ هذه الإسهامات تشترك في البحث عن وسائل ربط للنّصوص بسياق الموقف الاتصالي الخاص بها، لتتعدى إسهامات أخرى ذلك حيث تشترط ضرورة تعلق المواقف المكونة في مجملها سياق الحال بعضها ببعض، لأنّه من خلال إدراك العلاقة بين المواقف يتحدّد المعنى المقصود، وفي ذلك يقول السكاكي:" إذا سمع أحدهم قوله تعالى:﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كِيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3] لم يجد صعوبة في فهم أسباب تعلّق هذه الصّور بعضها ببعض، إذا أخذ يفتش في خزانة صوره الذهنية."[4] أي إذا أخذ يبحث عن العلاقات المنطقية التي تربط هذه المواقف بعضها ببعض انطلاقا من المحيط الطبيعي والاجتماعي الذي تألفت فيه"[5].

ويمكن أن نوضح أكثر بالمثال الآتي:

"إذا قال أحدهم "السّلام عليكم"، وكان ردّ فعل المتلقين هو" الضّحك"، فإنّه وبلا شك أنّ الذي لم يدرك جميع مواقف المقام ولم يربط بينها، لن يفهم جواب المتلقين، لأنّ هذا الضّحك هو الرّد الذي إن لم يناسب المقال فقد ناسب المقام تماما، وذلك لأنّ الأمر تعلّق بطَالِبٍ عُرِف بشيء من الغفلة، وعدم مراعاة المواقف الاجتماعية، فبينما الأستاذ واقف بالمدرج يلقى المحاضرة على ما يقرب من مائتي طالب، يدخل ذلك الطالب المدرج متأخرًا

---

[1]- المصدر نفسه ، ص286 .

[2]- طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين،ص224.

[3]- سورة الغاشية، الآية: 17، 18، 19، 20.

[4]- السكاسي، مفتاح العلوم، ص124.

[5]- ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدّراسات الحديثة، ص46.

بحوالي ربع ساعة ويلقي التّحية مادًا بها صوته "السلام عليكم"، فينفجر الطلبة بالضّحك، وذلك أنّهم تعوّدوا من أستاذهم عدم الرّضىٰ عن التأخر عن الوقت المحدّد لبدْء المحاضرة، فعجبوا لموقف هذا الطالب في مثل هذه الحالة، وبالتالي فإنّ ربط المواقف المشكلة لهذا المقام بعضها ببعض هي التي حدّدت جواب المتلقين بالدّرجة الأولىٰ، فمن خلال إدراكهم لعناصر المقام الاجتماعي المتعالقة فيما بينها والتي هي: تعوّد الخجل من التأخر، المتكلّم الذي لم يخجل، الأستاذ الذي صمت عند سماع العبارة (وهذا دليل على عدم رضاه)، الوقار الذي تظاهر به المتكلم، وأخيرا عبارة السلام عليكم نفسها، تمكّنوا من أن يجيبوا بجواب إن لم يناسب المقال فقد ناسب المقام"[1].

وبالتالي فإنّ الحركة والإشارة، وتتابع الحوادث ومشاهدة الشخصيات، وإدراك السّياق بشقيه اللغوي والاجتماعي عن طريق ربط مختلف مواقفه فيما بينها وفيما بين السّياق اللغوي بواسطة علاقات موقفية، كل ذلك أدى إلى عقد علاقة وثيقة ومبرّرة بين "مقال" المتلقين و "موقف" المتكلم[2].

وعليه يمكن أن نقول "إنّ اشترط تكامل القرائن المقامية التي تحيط بدائرة النّصر من أجل تحديد أبعاده الدّلالية"[3]عن طريق علاقات موقفية حسب المصطلح الحديث، كان مِنْ بين القضايا البلاغية التي شغلت بال البلاغيين، واحتلت كُتُبًا من كُتُبِ التراث اللغوي القديم، فكانت بذلك هذه الكتب سبّاقة لطرح مفاهيم يعتقد في عصرنا الحالي، أنّها من وحي إلهام الحضارة والتطور العلمي الحديث.

ثالثا- العلاقات الدّاخلية:

لقد تمّت الإشارة في الفصل الثاني إلى أنّ السّياق اللغوي عند جون فيرث (John Firth) "تَحكمه علاقات داخلية، وبموجب هذه العلاقات تبدو اللغة في جملتها في صورة نظام متشابك تتوقف صلاحيته على تكافل الأنظمة المكوّنة له."[4] في تحقيق التماسك بين مكوّنات الجملة الواحدة، "على اعتبار أنّ هذا التماسك مقوّم أساسي من مقوّمات الجملة، إذ

---

[1]- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص345،346.

[2]- محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص246.

[3]- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص543.

[4]- ينظر : روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر:تمام حسان،ص86.

لا يمكن أن تبنىٰ الجملة دون وجود التّمسك. وإذا لم يكن في النّص تماسك فلن يكون من الممكن تسميته نصًا"[1].إلاّ أنّ هذا التّمسك لا يتحقق إلاَّ بتوفّر نوعين من العلاقات الدّاخلية:

النّوع الأوّل: هو العلاقات الرّكنية: وهي "علاقات متعددة موجودة بين عناصر البنية اللغوية على مستويات مختلفة (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية)، نحو العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوّية،أو العلاقات بين الوحدات الصوتية"[2].

أمّا النّوع الثاني: فيتمثل في العلاقات الاستدلالية: و"هي جميع العلاقات التي تربط بين مجموعة الوحدات التي يمكن أن يعوّض بعضها بعضا في بنية لغوية ما على المستوى العمودي؛ وبمعنى آخر هي جميع العلاقات التي تربط بين وحدات النّظام، هذا النظام الذي يمثل في هذه الحالة مجموعة المفردات التي نختار منها أيّة مفردة"[3].

ومن خلال ما تمَّ طَرْحُه، يمكن أن نقول إنَّ الكتب اللغوية القديمة قد حملت مثل هذه الأفكار حين طرقت الخصائص التركيبية المختلفة للغة العربية "عن طريق دراسة صوّر احْتِبَاكِ (تماسك) السِّياق الغوي في العربية، مبيّنة بذلك كفاءة أنماطها التركيبية ممَّا يبدو في التعليق النحوي وفي حقل الظواهر الإختيارية للمواقع بحسب المقام، لأنّ كلّ هذه الظّواهر مناط للمعاني الوظيفية"[4].

وسنوضّح وجه الشبه بين المباحث كِلاَ الدّرسين –العربي القديم، والغربي الحديث–، من خلال عقد مقارنة بين العلاقات الرّكنية ومبدأ التعليق عند القدماء، ثُمَّ بين العلاقات الاستبدالية ومبدأ التخيير في التراث اللغوي، كما سيأتي:

1- العلاقات الركنية ومبدأ التعليق عند القدماء:

تعدّ العلاقة الأفقية (الركنية) في إطار البحث الدّلالي "عاملا أساسا من بين العوامل المحدّدة لمعنى سياق لغوي ما؛ وذلك أنّ هدف هذا البحث الدّلالي هو توضيح طبيعة النظام اللغوي، من خلال دراسة الترابط الذي تحققه هذه العلاقات فيما بين كلمتين أو أكثر في بنية لغوية معينة".[5] لأنّ السّياق اللغوي لا يتحقق تركيبه، ولا يتحدّد معناه، إلاّ بأن

---

[1]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج،ص 198.

[2]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، 175.

[3]- المرجع نفسه، ص 175، 177.

[4]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص29.

[5]- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص143، 160.

"تقع الوحدات اللغوية في مجاورة وحدات أخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها".[1] ولهذا رأىٰ جون فيرث(John Fith) أنّ" الوحدة اللغوية لا تكتسب قيمة على المستوى النحوي، ولا تكتسب معنى على المستوى الدّلالي، إلاّ من خلال علاقاتها بالوحدات اللغوية الأخرى".[2] وهذا ما ذهب إليه الجرجاني، حين" أكّد على نَظْمِ الكَلِمِ ووضعها في التركيب الذي يعطيها معنى، وحثّ على قيمة الكَلمة في اجتماعها مع غيرها، لأنّ النظم ما هو إلاَّ مجموعة علاقات بين الكلمات، تتماسك فيما بينها لتؤلف سلسلة لغوية تؤدي وظيفة الإبلاغ، وبفساد هذا النظم عند غياب الترتيب وعدم توخي النّحو يفسد المعنىٰ وتغيب الدّلالة."[3]وذلك يرجع " لأنّ النحو ليس مجرّد قواعد شكلية بل، ترتبط به معانٍ تظهر في العلاقات المختلفة تتحقق فيما بين الوحدات اللغوية، وعلى ضوء هذه العلاقات تتحدّد دلالة الكلام؛أي أغراض المتكلم التي يأخذ فيها بِالحُسبان حال السامع وحاجاته"[4].

وفي ذلك يقول: "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنىٰ اللفظة لمعنىٰ التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تغلق له بصريح اللفظ"[5].

إنّ هذا القول لدليل واضح على أنّ الجرجاني قد " فطّن إلى أنّ الأبنية الصّرفية أو الكلمات المفردة لا تؤدي أيّ معنىٰ، وإنّها تحتاج إلى شيء هام لتكون قادرة على جعل المتكلم يفي بمقوده، و استعمل عبد القاهر مصطلحي النظم والتعليق ليشير إلى الخيط الذي يربط بين الكلمات المفردة أو أجزاء التراكيب."[6] حيث يقول: "ليس النّظم سوىٰ تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[7].

---

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص68.

[2]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتّطوّر، ص 179.

[3]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص82.

[4]- المرجع نفسه، ص69.

[5]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص48 ، 49 .

[6]- كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص231.

[7]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص15.

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أنّ الجرجاني يَعْمَدُ في بيان مفهوم النّظم إلى مصطلح التعليق، الذي يُقصَدُ به "بيان ارتباط عناصر الكلام بعضها ببعض؛ أي الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية في النّص بالإفادة من نظرية العامل التي تحدّد مدىٰ انتظام العناصر في التركيب اللغوي، فيتحقق بذلك ربط آخر الكلام بأوّله"[1].

وعليه يمكن أنْ نقول، بأنّ الجرجاني قَدْ" تَنَاول مفهوم العلاقات الأفقية تحت مصطلح التعليق، ولعل مفهوم هذا المصطلح هو ما عبّر عنه رواد المدرسة الإنجليزية، بقولهم: الرّصف هو الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرىٰ معينة"[2].

من هنا يُعْتَبَرُ اهتمام الدّراسات اللغوية بقضية العلاقات الكامنة بين الكلمات في نَسَقِ الجملة، من أهمّ ما قدّمه "عبد القادر الجرجاني، حيث تبين ممّا سبق أنّ مناط التعليق ليس سوى إنشاءُ العلاقات بين المعاني النحوية، كعلاقة الإسناد والتعدية والتوكيد والظرفية والمعية والحال والتمييز والاستثناء والإضافة و التبعية، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّ نقطة البدء في النّظم –وفقا لعبد القاهر الجرجاني– هي مفهوم التعليق/العلاقات الرّكنية".[3]حيث يقول: "معلوم أَنْ ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها بِبَعْضٍ، (...) والكلم ثلاث، اسم، وفعل، وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تَعَلُّق اسم باسم، وَتَعَلُّق اسم بفعل، و تعلق حرف بهما."[4] بعد بيانه لهذه الأقسام، يَذْكُرُ أحد عشر جانبا لتعلّق اسم باسم (فالاسم يتعلق بالاسم" بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له صفة أو توكيدا أو عطف بيان أو بَدَلاً، أو عطفا بحرف، أو عن طريق الإضافة....إلخ)، وعشرة جوانب لتعلق اسم بالفعل (وأمّا تعلق الاسم بالفعل: فبأن يكون فاعلا له أو مفعولا...)، ويُبيّن أنّ الحرف في تعلقه يكون ثلاثة أضرب: فقد يتوسط بين الفعل والاسم كحرف الجرّ، و واو المعية، وإلاّ

---

[1]- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص111.

[2]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص74.

[3]- ينظر : تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1983م، ص120، 123.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص15.

الاستثنائية، وقد يكون بين كلمتين لإدخال الثاني في عمل العامل الأوّل وهو العطف، وقد يكون التّعلق بمجموع الجملة، كتعلّق النّفي والاستفهام والشرط والجزاء"[1].

إنّ هذه الجوانب التي ذكرها "الجرجاني" تمثل كل أبواب النحو، وبناء عليها "عُدَّ التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وذلك أنّه يحدّد بواسطة القرائن، المعاني السّياقية، ويفسر العلاقات بينها على صورةٍ أوفىٰ، وأكثر نفعًا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفة النّحوية..."[2] وما علاقة الإسناد بين" المسند والمسند إليه، وعلاقة التعددية بين الفعل والمفعول به، وعلاقة السّببية بين الفعل والمفعول لأجله –على سبيل المثال– إلاّ دليل قاطع على ذلك"[3]، و" ذلك أنها تشكل بتفاعلها مع السّياق اللغوي، أو أنظمة خاصة من الكلمات قوة فاعلة تعطي للأجزاء دلالات أو فاعليات خاصة(...) لهذا السبب اعْتُبِرَ التّعليق أَهَمَّ جانب تنطوي عليه فكرة العلاقات الرّكنية بالمفهوم الحديث، على اعتبار أنَّه بمثابة حركة خلقٍ مستمرة في اللغة؛ ترجع إلى موقع الكلمة من السّياق وعلاقتها به، ومن ثمَّ ألغى عبد القاهر الجرجاني، كل الإمكانات الأخرىٰ التي يحتملها السّياق اللغوي، وأدخل بعضها في هذه الفكرة(...)؛ لأنّه رَأى بِأَنْ لاَ نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها في بعض، وأنَّ الاهتمام بهذا الموضوع يكفل توضيح الخصائص الكامنة في العبارة الأدبية..."[4].ودليل ذلك قوله : "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلَّق بعضها ببعض ويُبْنى بعضها على بعض، وتُجْعَلُ هذه بسبب من تلك(...)وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء ويجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فيجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدًا له أو بَدَلاً منه..."[5].

---

[1]– ينظر: ممدوح عبد الرّحمان، العربية والفكر النّحوي– دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، ص218. ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص16، 17.

[2]– المرجع نغسه ، ص219.

[3]– المرجع نفسه ، ص196.

[4]– تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النفذ العربي، ص 122، 123.

[5]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54.

ويذهب "الجرجاني" في موضع آخر من دلائله، إلى اعتبار" أنّ تعالق الوحدات اللغوية فيما بينها هو الذي يضمن فصاحتها انطلاقا من السياق اللغوي الذي قيلت فيه."[1] فيقول: "وجملة الأمر أنَّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنَّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلَّقًا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة(اشتعل) من قوله تعالى:﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[2]: أنّها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرّأس معرّفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشّيبُ منكرًا منصوبا"[3].

إلاّ أنّ ما تجدر الإشارة إليه من خلال مضمون هذا القول، أنّ الجاحظ ذهب إلى ما ذهب إليه الجرجاني حين اعتبر المطابقة بين الكلمة والكلمة من بين المطابقات التي تفصح عن معنى الكلام، وَتَضْمَنُ بَيَانَهُ، وبالتالي يتحقق الفهم والإفهام، إذ يقول: " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنمّا هو الفهم والإفهام، فبأيِّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[4] ومن الأشياء التي يُبْلَغُ بها الإفهام، ويُفْصَحُ بها عن المعنىٰ، المطابقة التي تتم بين الكلمة والكلمة داخل الجملة أو التركيب،" وليس المقصود بهذه المطابقة التأليف على المستوىٰ الصوتي فقط، بل التأليف على المستوىٰ المعنوي أيضا؛أي المطابقة على مستوى إسناد الكلمة إلى أختها وتعليقها بما يجاورها من الكلمات في نسق التأليف"[5].

انطلاقا مما جاء به الجاحظ من مفهوم المطابقة بين الكلمة والكلمة على مستوىٰ التأليف، وبناء على ما قام به الجرجاني من اعتناء بجانب الصياغة، واقتراحه لها أربع مراحل هي: النّظم، البناء، التركيب والتعليق".[6] يجد الناظر في المظان اللغوية القديمة "أنّها

---

[1]– محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى،ص7.

[2]– سورة مريم، الآية:4 .

[3]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص259.

[4]– الجاحظ البيان والتبيين،ج1، ص76.

[5]– ينظر : محمد الصغيرناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خـلال البيان التبيين، ص 167، 168.

[6]– ينظر : روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر:تمام حسان، ص5.

كانت ذات دراية واسعة بمفهوم العلاقات الرّكنية".[1] هذا المفهوم الذي اعتُبِرَ فيما بعد وبآلاف السّنين، من أهم ما أسّست له تنظيرات المدرسة الإنجليزية في الدّرس اللغوي الحديث، معتقِدة بذلك أنّه لم يُسْبَق إلى مثل الذي جاءت به من قبل أو ربما دون اعتراف منها بأسبقية التراث الغوي العربي إلى طرح مثل هذه المفاهيم والأفكار، وإن كانت المصطلحات اللغوية القديمة باتفاق مدلولاتها مع المصطلحات اللغوية الحديثة –رغم اختلاف الدّوال فيما بينها– من أبلغ المقولات تأكيدا على تلك الأسبقية، ومن أوضح الأدلّة إِثبَاتًا لَهَا.

2- العلاقات الاستبدالية و مبدأ التخيير:

لطالما ركّز "جون فيرث"(John Firth) في أبحاثه، على أنّ عَالِمَ اللغة الذي يريد أن يصل إلى المعنىٰ الدقيق للحدث اللغوي أو ا لكلامي، عليه أن "يبدأ أوّلا بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية المكوّنة له من أصغر وحدة صوتية وهي الصّوت/ الفونيم إلى أكبر الوحدات مثل: الكلمة أو الجملة".[2] ثم بعد ذلك يأتي الكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية على المستوى العمودي، وهذه العلاقات التي يسعىٰ "فيرث" للكشف عليها، خاضعة لجملة من الاعتبارات اللغوية وغير اللغوية وهذا ما أكده علماء العرب في أكثر من موضع، فهم يرون بأنّ المتكلم إذا ما أراد تكوين جملة لغوية، عليه أن يقوم بعمليتين متكاملتين،" يجري في الأولى اختيار من مخزونه اللغوي، وفي الثانية يركّب ما اختاره، بحيث يتلاءم هذا الاختيار مع المقام الذي يدور فيه الكلام."[3] و يَتَوَاءَمُ بين الدّلالات المعجمية للمفردات حين تدخل في علاقات نحوية ودلالية داخل التركيب "والكفيل بذلك قواعد الاختيار الكامنة في الذّهن التي يمتلكها صاحب اللغة بطريقة عفوية، تجعله قادرا على استخدام لغته استخداما صحيحا،...إذ لا يسوّغ كسر قانون الاختيار بين مفردات إلاّ فهم المخاطب"[4].

وهذه الاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخاصة فحسب، بل" تحكمها كذلك محدّدات المقام، نَعْنِي بها الخصائص التي تحدّد الظرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام؛ لأنّ القيمة الفَنّية تبرز من تلاحم عناصر النص و تماسكها و نظمها".[5]

---

[1]- مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنىٰ دراسة في دلالة الكلمة العربية،ص52.

[2]- حلمي خليل، الدراسات في اللسانيات التطبيقية،ص32.

[3]- ينظر : فطومة لحمادي، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق- سورة الحجر أنموذجا-، ص47.

[4]- ممدوح عبد الرّحمان، العربية والفكر النحوي، دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، ص205.

[5]- ينظر : رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص2.

فالكمات "يمكن أن تحمل غموضا لا حصر له عندما تكون خارج السّياق، أمّا إذا استخدمت في سياق لغوي معيّن، فإنّها تفقد غموضها، حيث يمكنُ تحديد أو اختيار الجملة التي ننطق بها من بين الجمل اللامتناهية العدد ذات التركيب النحوي السليم"[1].

وبما أنّ مصير اختيار مفردات اللغة في تركيب ما متعلّق بالمعطيات الظرفية والملابسات الخارجية التي تسود ساعة حدوث العملية الكلامية،" نجد "الجاحظ" يدعو إلى وجوب تحري الموضوع المتحدّث عنه باختيار ما يلائمه من الألفاظ وفق ما يقتضيه المقام".[2] وفي ذلك يقول: "لكل ضرب من الحديث ضرب من الفظ و لكل نوع من من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل والإفصاح في موضعٍ الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال..."[3].

وبتصفحنا أوراق المدرسة الإنجليزية، وجدنا فكرة الاختيار مطروحة في دفاترها عن طريق مفهوم اصْطُلِحَ عليه بِالعلاقات الاستدلالية أو العلاقات الجدولية **(paradigatic relations)** ضمن الأنظمة اللغوية، و"هي العلاقات التي تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحلّ محلها داخل الجملة، أو هي الكلمات التي يصلح استخدامها في الموقع نفسه، نحو: جلس الطالب على الكرسي/جلس الأستاذ على
الكرسي/جلس المدير على الكرسي؛ فالعلاقات الجدولية في هذه الجمل، تتضح بين الطالب والمدير والأستاذ، لكونها تصلح في الموقع نفسه"[4].

وحسب هذه النظرية –السّياقية– فإنّ" المتكلّم عندما يلفظ جملة معينة من بين الجمل غير المتناهية، التي تتوفر عليها لغته المتراكِمَة في مخزونه اللغوي، يكـون قد أخضعها لخيارات متعدّدة، هذه الاختيارات مبنية على تعالقات دلالية محدّدة."[5] وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام، لقوانين النّحو، ولتنظيم المحتوىٰ بطريقة منطقية مترابطة تتّسق مع

[1]– المرجع نفسه ، ص8.
[2]– ينظر : عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص77.
[3]– الجاحظ، الحيوان، ج3، ص39.
[4]– ينظر : محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 159، 160.
[5]– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطوّر، ص185.

عملية الاتصال في مجموعها".[1] إلاّ أن هذا الاختيار على المستوى العمودي، لا يكون عشوائيا، بل خاضعا لمقاييس محدّدة، تفرضها جملة من الاعتبارات اللغوية وغير اللغوية.

وفي المقابل، نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني يطرح تلك الأفكار فيقول: "قد عُلِمَ أنّ المعارضَ للكلام، معارضٌ له من الجهة التي منها يوصف بأنّه فصيح وبليغ ومتخيّر اللفظ، جيّد السّبك، ونحو ذلك من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ، وإذا كان هذا هكذا، فبنا أن ننظر فيما إذا أتى به كان معارضا ما هو؟ أهو أن يجئ بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو: أن يقول بدل أسد، ليث وبدل بَعُدَ، نأَىٰ، ومكان قَرُبَ دَنَا، أم ذلك ما لا يذهب إليه عاقل ، ولا يَقُولُهُ من به طَرْقٌ؟"[2] فعبد القاهر الجرجاني –من خلال قوله هذا- يؤكّد على فكرة اختيار الألفاظ- خاصة ذات المعنى الواحد والمختلفة في الشكل (المترادفات)- وذلك أنّ لها دوراً في تحديد بلاغة الكلام وتبيان المعنىٰ،" فالفكـرة في النّظم، هي حسن المعنىٰ القائم على حسن المبنىٰ، لأنّنا لا نستحسن تجانس الكم إلاّ إذا كان موقع معانيها من العقل مقبولا؛ أي اختيار الألفاظ يفصح عن المعاني؛ لأنّ الألفاظ أوعية لمعانيها، والألفاظ المصبوبة في هذه الأوعية، لا بد أَنْ تُخْتَار لها الأنماط المتكافئة لها، وتكون على قدر المعاني ."[3] المختارة من أجلها، "وقد مثّل لذلك بالآية التي يقول فيها تعالىٰ:﴿وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبا﴾[4]. إذا جاء "الرّأْسُ" فاعلا لـ "اشتعل"، و"شيبا" منصوبا على التمييز، ومجيء الاستعارة عن طريق الإسناد، والسّر في بلاغة هذا النّظم أو هذه الاستعارة هنا هو الشمول و أنه شاع في الرّأس كلّه، وأخذ من أجل تعريف "الرّأس" بالألف واللام، وإفادة الإضافة من غير إضافة، ولو قيل "اشتعل رأس"(...) لَذَهَبَ بَعْضُ الحسن، "فعبد القاهر" يراعي أحوال التأليف بين الجمل (...)ما يقتضيه التـأليف من الاستعارة أو الحقيقة و المجاز كما يراعي الاختيار السليم للألفاظ؛ وحتى تكون أجزاء الكَلِم متلائمة،آخذة بعضها بأعناق بعض، لإفادة عملية التوصيل."[5] ويُوكِلُ مهمّة النظم إلى توخي معاني النّحو وتآخيها على حسب الأغراض التي يُصَاغُ فيها الكلام، فلا يكفي العلم بالنّحو ومقتضياته، بل إضافة إلى ذلك،

---

[1]- ينظر: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، ص4.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص175.

[3]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص205.

[4]- سورة مريم، الآية:4.

[5]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص205.

وجوب مطابقته لمقتضى الحال، وفي ذلك يقول: "فليس الفضل للعلم بأن "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تراخٍ، و "ثمّ" له بشرط التراخي، و "إن" لكذا، و "إذا" لكذا، ولكن، "لأن يتأتى لك إذا نظمت، وألفت رسالة أن تحسن التخيّر، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه."[1] فليس الأمر كلّه بأنْ تعلم ومواضع النحو ومراتبه، وإنّما الأمر أن تعلم وتحسن اختيار المفردات، وبذلك يتحقق الأمر كلّه والذي هو جوهر النظم ولبّه.

وقد "عبّر "الجاحظ" عمّا جاءت به النّظرية السّياقية فيما يسمىٰ بالمحور الاستبدالي أو العمود، "بمحور التخيير"، وهو مصطلح مرادف عنده لعبارة "الألفاظ المتخيّرة"؛ أي تخيّر الألفاظ للمعاني، وكلّ السّياقات التي وردت فيها هذه العبارات، يقصد بها المستوى العمودي **(Paradigatic)** للكلمات داخل الجملة"[2].

وقد رأىٰ "الجاحظ" بذلك أنّ الشأن كل الشأن، عائد للفظ وحسن تخيّره، فالمعاني مطروحة في الطّرقات يعرفها الجميع، وإنّما الأمر كلّه، عائد إلى قائمة الوزن وتخيّر اللفظ، فمتىٰ خرج اللفظ من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التّكلّف، كان جديرا بموقعه وبانتفاع المستمع به، فحفظ في النّفوس وتداولته الألسن".[3] وفي ذلك يقول: "...ومتى كان اللفظ كريما في نفسه متخيّرا من جنسه وكان سليما من الفضول، بريئا من التّعقيد، حُبِّبَ إلى النّفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وجفّ على ألسن الرّواة وشاع في الآفاق ذكره."[4] فاختيار الألفاظ من جملة المترادفات و المتضادات، ضرورة يقتضيها نظم الكلام، و ها هو "ابن قتيبة"، يؤكّد على ذلك، و يساهم هو الآخر في إرساء هذه الفكرة في الدّرس اللّغوي العربي القديم، إذ يعرّف البلاغة بأنّها:"تخيّر اللّفظ في حسن إفهام"[5].

يتضح من هذا التعريف، أنّ "ابن قتيبة"،" يدعو إلى أن يؤتى بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابة المستمعين؛ أي أنّ الإشارة تظلّ

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص169.

[2]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص124.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص22، 23.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص7، 8.

[5]- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص 171.

عامة تشمل مجموع الألفاظ، لكنها توضح المراد هو الانتقاء للأقصر من الصّيتغ، و للأكثر تداولا من بين المترادفات و المتقاربات في المواضع المطروقة"[1].

إذن، لقد اجتمعت كل هذه الآراء، لتثبت أنّ مبدأ/ علمية الاختيار، من ضرورات العملية اللغوية، هذا المبدأ الذي نظّر له -فيما بعد- الدّرس اللغوي الحديث، و قال به لسانيو المدرسة الإنجليزية فيما يسمىٰ بالعلاقات الاستبدالية أو الجدولية.

رابعا- القواعد النظامية و نظرية النظم:

لقد انصب "عمل النحاة العرب قديما، على دراسة اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية اجتماعية، و قالوا بضرورة توافر شرطين حتى تتم العملية التواصلية، و هما: مبدأ الإفادة، و مبدأ الغرض"[2]، و يراد بالإفادة حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب ووصول الرّسالة الإبلاغية، و" الإفادة هي الثمرة التي يجنيها المخاطب من الخطاب، أمّا الغرض، فمتعلق

بالمتكلم؛ أي بالقصد والغاية اللذين يرمي إلى تحقيقهما، فالمتكلم والمخاطب هما الطرفان الأساسان في عملية التواصل."[3] ومن الشروط التي تحصل بها الإفادة لدى السّامع، ثبوت معنىٰ دلالي عام للجملة، وأن تكتمل النسبة الكلامية للجملة، فتحصل للسامع فائدة من الكلام يكتفي بها، وأن تكون عناصر العبارة معينة ودالة، أمّا إذا انتفىٰ أحد هذه الشروط، فإنّ الجملة تفقد أهم مقوّمات صحتها،وهي حصول الفائدة لدىٰ السامع، ولا يصحّ عندئذ تسميتها بالجملة ولا بالكلام. إضافة إلى ذلك، فقد " اتفق نحاة العربية، فيما يخص ثبوت المعنىٰ الدّلالي العام للجملة، على أنّ الجملة لا تسمىٰ جملة ولا كلاما،حتى يكون لها معنىٰ يفهمه السامع، وإلاّ كانت لغوا، وهذا الفهم للمعنىٰ لا يخضع لفهم قواعد النحو واصطلاحات النّحاة."[4]

وقد سعىٰ بذلك البلاغيون والنحاة لدراسة اللغة بكل ملابسات الخطاب من متكلم ومستمع، ورسالة، وذلك أنّ هذا كلّه هو غاية البلاغة والنّحو، فقالوا " لكل بنية تركيبية

---

[1]- فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي، ص39.

[2]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص41، 42.

[3]- رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص11.

[4]- ينظر : مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، ص 186، 187.

معناها ومقصدها وغايتها، ولكل صيغة لفظية وظيفة إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه، ومن أهم تلك الملابسات والأغراض مراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب".[1] وهذا ما يؤكدّه "عبد القاهر الجرجاني" في قوله: "أمّا قولنا: المنطلق زيدٌ، والفرق بينه وبين زَيْدٌ المنطلق، فالقول في ذلك(...) أنّك ترىٰ في الظاهر أنّهما سواء من حيث كون الغرض في الحالين إثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد، فليس الأمر كذلك، بل بين الكلامين فصل ظاهر، وبيانه أنك إذا قلت: زيد المنطلق، فأنت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كونه إلاّ أنّه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو؟ فإذا قلت: زيد المنطلق أزلت عنه الشّك وجعلته يقطع بأنّه كان من زيد بعد أن كان يرىٰ ذلك على سبيل الجواز. وليس كذلك إذا قدمت "المنطق" فقلت: المطلق زيد: بل يكون المعنىٰ حينئذ على أنّك رأيت إنسانا ينطلق بالبعد منك فلم يثبت، ولم تعلم أزيدٌ هو أم عمرُو، فقال لك صاحبك: المنطلق زيدٌ؛ أي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيدٌ."[2]

فالملاحظ أنّ الفائدة التي يجنيها السّامع من كلتا العبارتين مختلفة، لذلك عمل علماء العربية على ربط الكلام بالسّياق سواء اللغوي أو غير اللغوي، وبناء على هذا الرّبط يتحدَّدُ شكل الكلام وتتحقق بلاغته وفقا لنظرية النّظم، هذه النظرية التي نجد لها نظيرا في الدّرس الغوي الحديث، وخاصة عند أساتذة المدرسة الإنجليزية، وذلك أنّ جلّ مبادئها تعدّ من أسس أطروحات النظرية السّياقية الحديثة- نظرية القواعد النظامية بالتحديد- وسنحاول خلال هذا الطّرح العلمي استعراض نقاط الالتقاء بين الدّرسين، دون أن ندّعي بأنّنا سنعقد مقارَنَة بالمعنىٰ العلمي، وإنّما غاية ما نصبو إليه هو إثبات أنّ المعرفة إنسانية وأنّ توارد الأفكار واردٌ، لكي نتمكن من البرهنة على خلود الفكر البشري، وذلك حتى لا نقع في مطبّ من حاول الإقرار بأنّ الغربيين قد اطلعوا على تراثنا اللغوي العربي بغض النّظر عن صحة الفكرة أو خطئها.

إنّ من بين الأطروحات التي جاءت بها النظرية السّياقية، أطروحة "القواعد النظامية" والتي تعرّف بأنّها: "مجموعة القواعد التي تُعْنَىٰ بطبيعة الاختيارات المتعدّدة التي يستخدمها المتكلم، إذ يتخير من بين عدّة تراكيب متساوية بشكل تقريبي في دلالتها تركيبا

[1] - المرجع نفسه ،192.

[2] - عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص132.

واحدا يريده هو ويكون أقرب إلى الموقف (السّياق غير اللغوي) ."[1] أي أنّ المتكلم من بين عدّة جمل واحتمالات يختار تركيبا واحد يكون مراعيا فيه لجملة من الاعتبارات هي التي تعتمد عليها نظرية القواعد النظامية في عملية التحليل، وهي:

- **الشكل:**" أي تنظيم أجزاء اللغة تنظيما له معنىٰ، ويشمل قواعد النّحو والمفردات"[2] وهذا ما قصده "الجرجاني" لمّا قال بضرورة توخي معاني النّحو عند عملية تركيب الكلام أو إنتاج الجمل، ويتضح ذلك أيضا في مصطلحِ التعليق، الذي أراد به "الجرجاني" التلازم بين الكَلِمَات حسب مقتضى خاص، وليس بهذا فقط يكتمل النّظم – أي بتعلق المفردات بعضها ببعض، وبتوخي معاني النّحو بل " لابد من مراتب متصوّرة في الذّهن، موافقه لمألوف العرب في كلامهم، وما يحصل عن طريق تناسق الكلمات في تركيب بدْءًا بترتيب المعاني في النفس(...)؛ لأنّ اللفظ تابع للمعنىٰ، والألفاظ أوعية المعاني (...) ولو خلت من معانيها تصبح مجرّد أصوات"[3] لا دلالة لها.

وقد قالت النظرية السيّاقية بتلك الأفكار، لكون القواعد النظامية " تُعْنَىٰ بطبيعة الاختيارات المتعدّدة التي يستخدمها الشخص شعوريا أو لا شعوريا، عندما يلفظ جملة معينة من بين الجمل غير المتناهية التي تتوفر عليها لغته، وحسب هذه النظرية فإنّ جميع الاختيارات مبنية على تعالقات دلالية محدّدة."[4]

أماّ الأساس الثاني الذي تعتمد عليه هذه النظرية في عملية لتحليل فهو:

– **المادة:** "ويقصد بها الجانب الصوتي والكتابة."[5] فهي الواسطة التي تنتقل بها اللغة في الفضاء المتلقى، وقد مثّل "عبد القاهر الجرجاني" لهذه الفكرة في التراث اللغوي العربي بكلمتي: "ضَرَبَ، ورَبَضَ، فرغم اتحادهما في الأصوات، إلاّ أنهما مختلفان في الدّلالة بالنّظر للسّياق والموقف الذي تُقَالان فيه، فَضَرَبَ محمدٌ أخاه، تخالف رَبَضَ الكلب"[6].

---

[1]– ينظر : سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص201 وما بعدها.

[2]– كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص48.

[3]– صالح بلعيد، نظرية النظم، ص127.

[4]– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتّطور، ص 185.

[5]– كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة،ص48.

[6]– صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 128.

ويظهر هنا، مرة أخرىٰ، مفهوم النظم، الذي أراد به "الجرجاني" تعلّق المفردات بعضها ببعض في التركيب، "فالنّظم عنده هو نظير للتأليف والتنظيم والترتيب والجودة ومن ذلك صُنِّفَ النظم في علوم البلاغة، باعتباره يسعىٰ إلى رصف الكلمات وترتيبها وبيان جودتها التي تكمن في حسن التّخير ومعرفة الموقع المناسب، وهذا ما عبّرت عنه النظرية النظامية بالنسقية التي تلتئم بين الكلمات التي تمثل كل واحدة منها موقعا في الجملة"[1].

وبعد "المادة" يأتي العنصر الثالث الذي اعتمدته النظرية النظاميـة في عملية التحليـل ألا وهو:

- **السّياق:** ويقصد به العلاقة بين الشكل والموقف؛ أي أنّه يسجل منظور العلاقة بين الشكل اللغوي (منطوقا أو مكتوبا)، والمحيط الخارجي (جملة المواقف)".[2] فربط السّياق اللغوي بالوظائف الدّلالية التي يؤدّيها، يعني" أنّه أكثر من مجرد سلسلة كلامية، إنّها سلسلة تفرضها المواقع التي تشغلها هذه الكلمات والوظائف العلائقية فيما بينها، وهذا يعني أنّ السّياق بناء ذهني في المقام الأوّل، وحدث منطوق في المقام الثاني."[3] لكنه خاضع قبل ذلك للموقف الخارجي، الذي يعتبر العامل الأساس في بنائه ذهنيا وإحداثه لغويا، وحسب مفهوم هذه الفكرة اعتبر "عبد القاهر" اللغة هي: " المنطق والعقل والمعاني المتصوّرة في الذّهن، بل هي العلاقات القائمة بين المتكلم و المخاطب، في ذهن كل واحد منهما (اصطلاح/عرف)"[4].

وبالإضافة إلى السّياق اللغوي، بحسب مفهوم نظرية القواعد النظامية، "يشْتَرِط علماء العربية السّياق الاجتماعي، لغرض إبانة الكلام وفهمه، وذلك بربطه بالموقف الذي قيل فيه، وهذا المذهب هو ما يطابق مذهب "جون فيرث" (John Firth) حين اعتبر اللغة نشاط معنوي في سياق اجتماعي معين، لكونها جزْءًا من المسار الاجتماعي؛ أي أنّها عبارة عن شكل من أشكال الحياة الإنسانية"[5].

---

[1]- ينظر، سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص 204.

[2]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 441. ينظر: كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص48.

[3]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص 204،205.

[4]- صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 139.

[5]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتّطوّر، ص173، 174.

وبما أنّ استعمال اللغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعدّدة، فإنّ فيرث (Firth) " قام بدراسة مكوّنات اللغة وفق مكوّنات اجتماعية بحتة، وذلك بالتركيز عل العلاقات المختلفة التي تربط اللغة بالمجتمع."[1] وبما أنّ استعمال اللغة يكون وفقا لقواعد وقوانين نحوية، فإنّا نستدل على ذلك بما سمي نظرية القواعد النظامية بـ "التحقيق النحوي" (Realization)، ويُقْصَدُ به: الطريقة التي يتم بها إدراك المعاني النحوية، حيث أنَّ " كلّ فاعل يسمىٰ فاعلا بشرطين متلازمين، أوّلهما: كون الفعل مسندا إلى اسم، وبذلك يعتبر "المُحَاضِرُ" فاعلا في جملة: تأخّر المُحَاضِرُ عن الموعد، و يكون "الرّجل" فاعلا في جملة: مات الرّجل في حادث سيّارة، نعم لم يقم الرّجل بفعل الموت حتى يكون فاعلا له، لكن الموت أُسْنِدَ إليه، فكان فاعلا بالمعنىٰ النحوي."[2] وفي لغتنا العربية يُفَرِّق العلماء بين "الفاعل الحقيقي و المجازي و يسمى الفاعل، والفاعل النحْوي : "تحرّك الشّجر" فاعل مرفوع، ولكن ليس الشجر الذي تحرّك، لأنهّ ليست لديه القدرة على تحريك نفسه، فالشجر فاعل مجازي نحوي، وهو مفعول به في حقيقة الأمر، لأنّه لا بد له من شيء يحرّكه: حرّك الهواء الشّجر"[3]. وثانيهما: تعميم المفهوم على كل ما ينطبق عليه الحدّ.

إذْ "بهذا التعميم نستطيع أن نعرف كل فاعل، وبتعميم مفهوم المفعولية نستطيع أن نميّز كل مفعول، وهكذا دواليك، وبهذا الشرط ينتقل الذّهن من المفهوم المحدّد لمصطلح ما، إلى ما يمكن أن يطبّق عليه من الكلام، فيعرف أنّ هذه الكلمة فاعل، وأنّ تلك مفعول(...) غير أنّ المتكلم لا تعنيه المعاني النحوية في كثير أو قليل، بخاصة إذا لم يكن متخصصا أو معنيا بها، فكيف يتكلم المتكلم، وتقع المعاني النحوية في موقعها الصحيح دون أن يقصد ذلك؟

إنّ الذي يحدث هو أنّ نظام اللغة المستكن في الذّهن، في نماذج سياقية، يعمل على تطويع هذه النّماذج للمقامات والمواقف المختلفة، وتكون النتيجة أنّ أحدنا يتكلم وهو يطوّع الكلمات للنظام النحوي في لغته."[4] ومثل ذلك يقال عمّن يكتب، فهو يكتب انطلاقا من لغة

---

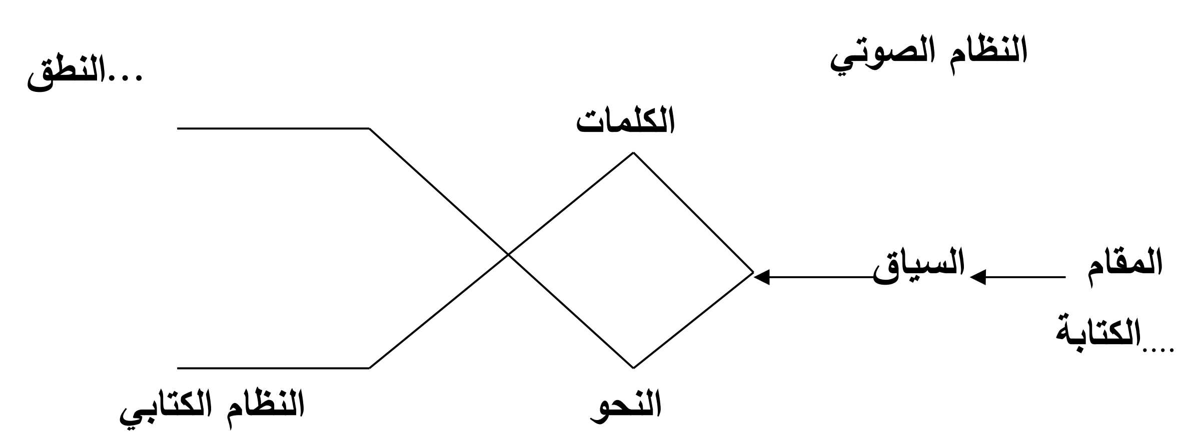
[1]- المرجع نفسه، ص 175.

[2]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج،ص 203.

[3]- ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الأمام عبد القاهر الجرجاني، ص116.

[4]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص 204.

ورثها عن سابقيه، وهذه العملية تعتبر عملية استحواذ لفظي ذات سمة خاصة شبه شعورية."[1]ونتيجة لهذه العملية، سواء على مستوىٰ الكلام أو الكتابة، يحدث الانتقال من المقام إلى السّياق اللغوي الذي يظهر فيه اختيار الكلمات وتطويعها للنظام النحوي والصوتي، على نحو ما هو مبيّن في المخطط الآتي[2]:



وبعرضنا لأطروحة الدّراسات اللغوية العربية من عصر "سيبويه" إلى عصر "الإمام عبد القاهر الجرجاني" نجد أنّ النحاة العرب الأوائل لم يقرّوا بوجوب رفع الفاعل ونصب المفعول في اللغة العربية، لمجرد سماعهم جملة أو جملتين من عربي واحد، وإنمّا وضعوا تلك القواعد بعد استقرائهم لمعظم كلام العرب خلال مدة زمنية طويلة، فانتقل البحث من مستوىٰ فقه اللغة الوصفي للسان، إلى مستوى اللسانيات العامة لاستنباط قوانين الظاهرة اللغوية العامة."[3] فوضعت بذلك القوانين التي استهدفت ضبط اللغة العربية بالشكل الذي نزل به القرآن، " وحدث هذا في المرحلة الأولىٰ من الدّراسات العربيـة (مرحلة الدّراسة الوصفية التحليلية الشاملة للغة)، حيث رأىٰ العلماء أنّ اللغة كلام مفيد فهي تتركب من ألفاظ أُسند بعضها إلى بعض لكي تدل عن طريق هذا الإسناد إلى معنىٰ ومن ثمّ تصبح اللغة فعلاً إنسانيا مرتبطا بالمجتمع الذي تعيش فيه."[4] – وهذا ما قال به فيرث **(Firth)**– "ولمّا جاءت

---

[1]– رشيد بالحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص7.

[2]– سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص 204.

[3]– صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الأمام عبد القاهر الجرجاني، ص97.

[4]– صالح بلعيد، نظرية النظم، ص24.

المرحلة الثانية (مرحلة الدّراسات النحوية المتخصصة)... أصبح الدّرس اللغوي مفسرًا لظاهرة اللغة وليس واصفا لها، ونتيجة لذلك أن زاد الاهتمام بتفسير التراكيب السطحية، من حيث أنها نتائج للتحولات الكثيرة التي طرأت على التركيبات الأصلية، مرورا بالقواعد التي تنتج عنها شتى التراكيب، من حذف أو زيادة تنكير وتعريف، تقديم وتأخير، فصل ووصل."[1] وغيرها من الظواهر الأسلوبية "التي اعتبرت فيما بعد من أسس الدّرس البلاغي والنّحوي"[2] أي في هذه المرحلة "أصبح موضوع الدّرس النحوي هو دراسة مكونات الجملة الأساسية، أو ما يكمن أن تحويه الجملة باختلاف أنواعها من مكونات ضرورية أو تكميلية"[3].

أمّا المرحلة الثالثة فتتميز بمجيء "عبد القاهر الجرجاني"، وإنجازه العظيم المتمثل في كتاب: "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، إذ " كانت نظرية النظم التي احتواها هذا الإنجاز العظيم، محاولة رائدة في دراسة أحوال بنية العبارة والوظيفة البلاغية التي يرتبط بها الكلام، وذلك انطلاقا من توخي معاني النّحو مضافا إليها مراعاة الملابسات الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، ومطابقته لمقتضى الحال"[4].

وبإجتماع مجهودات العلماء العرب، خلال فترة زمنية حدّدتها ثلاث مراحل تبلورت القواعد اللغوية واتضحت المصطلحات النحوية، هذه الأخيرة التي لعلها في جانب من جوانبها خاضعَة لمفهوم ما أسماه المحدثون بالتحقيق النحوي.

لنصل بعد ذلك إلى مبدأ آخر طرحته نظرية القواعد النظامية، وهو مبدأ "السّياق والوظيفة"، وذلك أنّ " السّياق يمثل حقلا من العلاقات اللغوية وغير اللغوية، الدّاخلية والخارجية، ومن ثَمَّ حاول فيرث (Firth) إثبات أنّ المعنىٰ وظيفة السّياق..."[5]، فالسّياق متضمّن داخل المنطوق بطريقة ما، كما أنّ " الكلمة لا معنى لها خارج السيّاق الذي ترد فيه، وحتى اختلافات دلالتها ترجع بالدّرجة الأولىٰ لهذا المكون الخارجي".[6]

---

[1]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الأمام عبد القاهر الجرجاني، ص98.

[2]- ينظر : رشيد بالحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنىٰ، ص2.

[3]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الأمام عبد القاهر الجرجاني، ص97.

[4]- المرجع نفسه، ص98.

[5]- محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، ص3.

[6]- المرجع نفسه، ص3.

ونوضح ذلك بالمثال الآتي:

إنّ جملة: زيد يهنّئ عمرا، تشمل أمرين اثنين:

أولهما: موقع كل كلمة من كلمات الجملة، فموقع الأولىٰ هو الإبتداء، وموقع الكلمة الثانية هو الخبر الفعلي، وموقع الكلمة الثالثة هو المفعولية .

أما الأمر الثاني الذي نلحظه في هذه الجملة، فهو العلاقة بين هذه الكلمات التي تملأ هذه المواقع، فلولا وجود المبتدأ ما وجد الخبر، ولولا وجود هذا الأخير ما وجد الأوّل، والمفعول ما كان ليتصوّر وجوده دون وجود أمرين هما: الفعل المتعدي وفاعله.

وفي ضوء وجود هذين الأمرين نتصوّر وجود السلسلة الكلامية التـي تؤدي إلى وجود السّياق، والقصد من وجود السّياق(...) أصلا هو إحداث وظيفة تركيبية دلالية وذلك أنّ القصد من السّياق الذي تمثله جملة: "زيد يهنّئ عمرا" هو الفاعلية، ولكنّ الفاعلية مختلفة تماما عن وظيفة الفاعلية التي تؤديها جملة: "يهنّئ زيدٌ عمرًا، فمعنى الجملة الأولى: هو زيد-لا أقصد غيره- يهنئ عمرا، أي أنّ فاعل التّهنئة هو محل القصد في حين أنّ حدث التهنئة هو محل القصد في جملة "يهنّئ زيدٌ عمرا"[1].

وبعودتنا للدّرس اللغوي لقديم نجد هذه الفكرة متجلّية المعالم، سواء تعلّق الأمر بعلاقة الكلمات بعضها ببعض من حيث المواقع التي تشغلها، أو تعلَّقَ باختيار هذه الكلمات انطلاقا من مواقعها وعلاقاتها بباقي المواقع الأخرى التي تساهم في إجلاء قيمتها النحوية من جهة وقيمتها الدّلالية من جهة أخرىٰ، حيث يصّر علماء اللغة على فكرة اختيار المفردة المناسبة للسياق، والأخذ بعين الاعتبار علاقتها بباقي الوحدات اللغوية الأخرىٰ وذلك من أجل أن تتحقق الغاية من الكلام بأدائه للمعنىٰ المقصود، كما أنّ الاختيـار لا يكون على مستوىٰ الكلمات والمفردات ولا حتى المعاني فقط، بل يكون حتى في توخي معاني النّحو، ففي خط سياقي منتظم -حيث يمثل النظام اللغوي لغة معينة -نلاحظ وجود نماذج لغوية مختلفة، يميل كل نموذج منها إلى نمط نحوي معيّن، فهذا "عبد القاهر الجرجاني" يقسم الجملة إلى: جملة الفعل و الفاعل، وجملة المبتدأ والخبر، حيث ينبّه إلى أنّ نظام اللغة العربية يحافظ على ترتيب خاص بالنسبة لأجزاء الكلام، إذ لا يمكن تغيير مكوّنات الجملة تقديما وتأخيرا، إلاّ حين يسمح النظام اللغوي بذلك، وحين يكون السّياق الكلامي محدّدا

[1]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص 205.

لطبيعة ذلك التغيير، وبالتالي فإنّ اختيار نمط معيّن من أنماط الكلام نفسه، يترتب عليه تحديد المعنىٰ المراد بدقة متناهية، وذلك أنّ مجرّد تغيير بسيط، كالتقديم والتأخير، أو الحذف قد يؤدي إلى تغيير الدّلالة كليّا."[1] وفي ذلك يقول: "إذا قلت أجاءك رجل؟ فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من أحد من الرّجال إليه؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أم امرأة..."[2]

ويفسّر رواد نظرية القواعد النظامية سبب هذه المفاضلة في عملية الاختيار، "بأنّ المرء يختار من هذه النماذج والأنماط المتعددة والموحّدة في المعنىٰ العام ما يناسب مقام الكلام، ولكن ذلك يتم بإحدىٰ الطريقتين، فقد يكون اختياره منها بوعي تام، وقد يكون اختياره بغير وعي إن صحّ الوصف؛ أي أن يتم ذلك بصورة شبه آلية، فعندما يرصف المتكلم كلامه، قاصدا كل كلمة بما تَرِدُ عليه، يكون اختياره واعيا، وعندما ينطلق الإنسان في حديثه، كما هو شأن الناس في معظم شؤون حياتهم، يكون اختياره حدثا لغويا يعكس الجوهر المستكن في بنيته الذهنية، فيكون شبه آلي..."[3]

أمّا فيما يخص علاقة الكلمات بعضها ببعض من حيث المواقع التي تشغلها، فقد عَبَّر عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بقوله:" لا يتصّور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم إفرادا ومجرّدة من معاني النّحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى' اسم من غير أن يريد إعمال فعل وجعله فاعلا له، أو مفعُولا من أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا أو ما شاكل ذلك".[4]

" فعبد القاهر الجرجاني يعرض لمفهوم تعليق الكلم بمعنى' ارتباط كلمات التركيب بمركزه الذي يتمثل في الفعل وفاعله بعلاقات أو أسباب معينة، فالكلمة بعد أن تأخذ موقعها في الجملة ترتبط من حيث المعنى' بمركزها و مركز الجملة."[5] فالمفردات في المعجم تقع في طرائق، لكل طائفة منها طابعها الذي يطبع أسماءها، وأفعالها بصيغة خاصة تجمع تحت ظل معنوي واحد، فمن الأفعال ما يتطلب فاعلا عاقلا، نحو، قرأ خطب(...) ومنها

[1]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص 138.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص104.

[3]- سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، ص203.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 263.

[5]- كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص 234.

ما يتطلب فاعلا مهاجما، مثل: اغتال، افترس(...)، ومنها ما يتطلب فاعلا حيا، مثل: أكل، شرب(...) وقد تسند فعلا من هذه الأفعال إلى من هو ذو عقل فتقول مثلا: فهم التلميذ الدّرس، عندئذ تتحقق المناسبة المعجمية التي يتطلبها التضام بين عناصر الجملة، أمّا إذا قلت: قرأ الحجر دم النّخلة، فلا الحجر يقرأ، ولا هو يقرأ الدّم، ولا الدّم ممّا يخضع للقراءة، ولا النخلة من ذوات الدّماء، وهكذا تنعدم علاقة التضام بين مفردات الجملة، لأنّها تشترط – مفردات الجملة–حتى تنتج علاقة بينها وحتى تحقق الغرض التواصلي، أن يربط بينها رابط عقلي يتقبّله العرف والمنطق، فينتج من جرّاء ذلك الاتحاد، مجموعة من القواعد النحوية."[1]
إلاّ أنّ الذي يتحقق هو معنى' واحد، لا معان متعدّدة كما يُتَوَهَّمُ، ودليل ذلك قول الجرجاني:"وجاء أنّك إذا قلت: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنّك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم واحد لا عدة معان كما يتوهمّه الناس، وذلك أنك لم تأت بهذه الكلم تفيد أنفس معانيها، وإنّما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب، وبين ما فعل فيه(...) وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن تنظر في المفعولية من عمرو، وكان يوم الجمعة زمانا للضرب وكون الضرب ضربا شديدا، وكون التأديب علة للضرب"[2].

أ يتصوّر أن تعرض عن المعنى' الذي هو أصل الفائدة، وهو إسناد الضرب إلى زيد، وإثبات الضّرب له؟ حتى يعقل كون عمرو مفعولا به، وكون يوم الجمعة مفعولا فيه، وكون ضربا شديدا مصدرا، وكون التأديب مفعولا له، من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب، وذلك لأنّ المفهوم من مجموع الكلم هو معنى' واحد لا عدة معان وهو إثبات زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا، وعلى صفة كذا، ولعرض كذا، ولهذا المعنى' تقول: أنّه كلام واحد، وبناء عليه تتحدد العلاقات بين الوحدات اللغويـة وفق ما يلي:

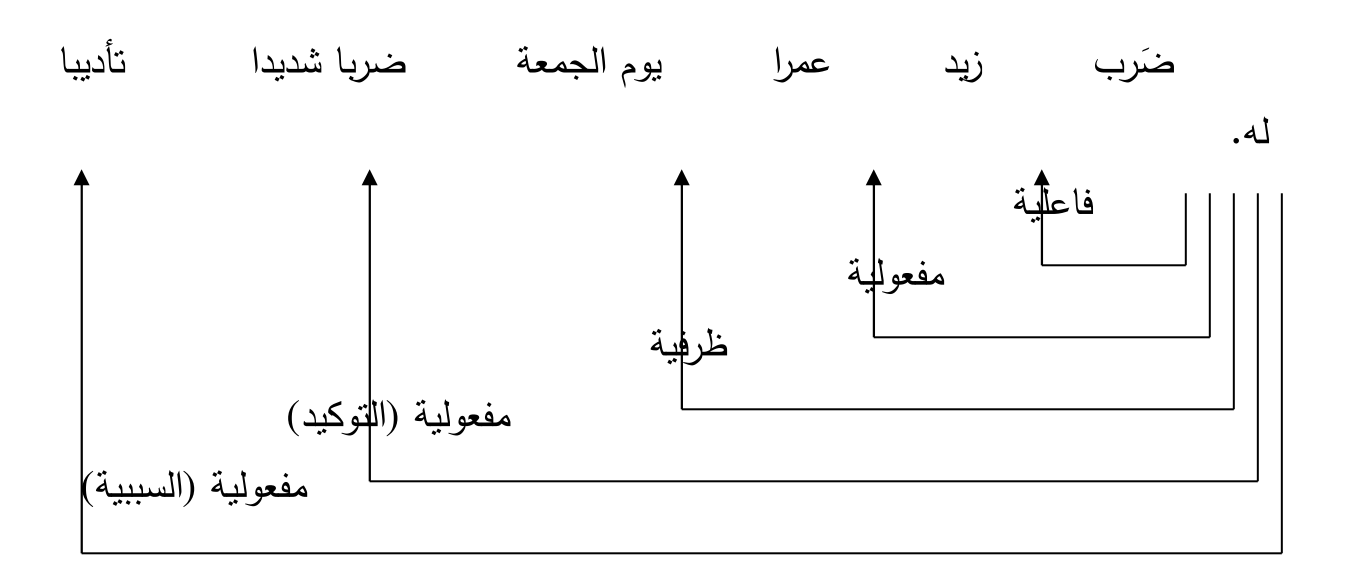
-"زيد: الفاعل، وهو الشخص الذي أوقع الضرب على عمرو.
-عمرا: المفعول،و هو الشخص الذي تلقى' الضرب من زيد .
-الضرب: الحدث الذي أوقعه زيد على عمرو.
-يوم الجمعة: الزمن الذي وقع فيه الحدث .

[1]- ينظر : تمام حسان، الخلاصة النحوية،عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، م ص81.
[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 265 .

-ضربا شديدا: توكيد للحدث، وبيان لنوعه.

-تأديبا له: السبب الذي من أجله وقع الحدث"[1].

والمخطط الآتي، يوضح كيفية تضافر هذه العلاقات في تحقيق التركيب من جهة، وفي بيان دلالته من جهة أخرى':[2]



بناء على ما قيل،نجد أن عبد القاهر الجرجاني -خاصة-،" قد ركّز على ما للنظم من مزية في إحداث التراكيب اللغوية من جهة، و ما للمقام من دور في ذلك من جهة أخرى' و بالتالي كانت فكرة السّياق و القواعد النظامية و هو يتحدّث عن الأنماط الأساسية للتراكيب النحوية التي بحثها، المنطلق الرّئيس الذي انطلق منه لوضع دعائم نظريته اللغوية التي اصطلح عليها علماء اللغة المحدثون باسم "نظرية النظم"[3].

[1] - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص234، 235.

[2] - المرجع السابق ، ص235 .

[3]- صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص196.

لم يدرك "جون فيرث" وهو يصوغ مصطلحات مضامين نظرية السّياق، بأنه قد سُبِقَ إلى مثل هذه المضامين ومصطلحاتها بآلاف السّنين، إذْ أنّ علماء العرب القدامىٰ من أصوليين وبلاغيين ونحاة، حين قالوا "لكل مقام مقال"، باعتبارهم أنّ هذا المبدأ الذي تحمله هذه العبارة، يمثل شرطا من شروط تمام آلة البيان والبلاغة، وحين خَاضُوا في مسألة نظام الرّتبة، بِأَنْ قيدّوا شكل التركيب اللغوي بالمعنى أوّلا، وبالمقام ثانيا، إذْ حَسب المعنىٰ والموقف الاجتماعي، يتم نظم الكلام وفق ترتيب لغوي معيّن، يعبّر عن ذلك المعنىٰ المقصود ويطابق المقام الذي قيل فيه، كانوا بكل ذلك قد أسسوا لمفهوم المكوّن الاجتماعي والعلاقات الموقفية تحت مصطلح المقام، وذلك إدراكا منهم لدور هذا العنصر الخارجي/غير اللغوي، ولأهميته في الكشف عن المعنىٰ.

أيضا، عندما قال أبو عثمان الجاحظ بفكرة النّظم، ولَمَّا أثبت عبد القاهر الجرجاني دعائم هذه الفكرة –فيما بعد– وفق نظرية لغوية، كان بذلك قد درس التركيب اللغوية في مستواه النحوي، بالاعتماد على عدّة مفاهيم، منها مفهوم مبدأين اثنين، يتفقان مع ما جاءت به النظرية السّياقية، الأوّل هو "مبدأ النظم" الذي اِعْتُبِرَ أساسا من أسس التي قامت عليها نظرية القواعد النظامية في التنظير لجملة الآراء والتصوّرات التي جاءت بها. أمّا الثاني، فهو "مبدأ التعليق"، هذا المبدأ الذي تصدق مقابلته بمصطلح العلاقات الرّكنية دون الاستدلالية، وذلك أنّ مفهوم كل من العلاقات الرّكنية ومبدأ التعليق يعني: "ارتباط عناصر الكلام بعضها ببعض عن طريق وسائل معنوية، في حين أنّ مفهوم العلاقات الاستدلالية يعني: مجموعة الوحدات التي يمكن أن يعوّض بعضها بعضا في بنية ما على المستوىٰ العمودي، وهذا المفهوم بدوره هو ما نجده حاضرا في التراث اللغوي تحت مصطلح "مبدأ التخيير" الذي يُقْصَدُ به إمكانية خضوع مجموعة من الوحدات اللغوية لموقع نحويّ واحد، ولكن يتم اختيار وحدة لغوية دون أخرىٰ، لكونها أكثر مناسبة لآداء المعنىٰ المقصود، وأكثر ملاءمة لطبيعة المقام، وأدقّ تعبيرا عن فحوىٰ موقف سيق من أجله التركيب اللغوي، من جملة المواقف المشكلة لذلك المقام.

وبناء على مجمل ما مر به البحث، وانطلاقا ممّا حملته الفصول الثلاثة لهذه المذكّرة، نستنتج:

– أنّ المدرسة الإنجليزية قدّمت حلولا لإشكالات لِسانيات القرن العشرين، وذلك إثر إسهامها إسهاما مفيدا في تطوير عملية التحليل الدّلالي وفق مبادئ النظرية السّياقية، لذلك تم الاعتراف بها مدرسة لغوية مستقلة في تاريخ الفكر اللغوي.

– أنّ إسهام المدرسة الإنجليزية وفق مبادئ النظرية السّياقية في تجَاوُزِ الإشكالات التي كان يعاني منها الباحثون، أدّىٰ إلى تحقيق نتائج، تعكس بصورة جليِّة، قيمَة الأطروحات التي نظّرت لها هذه المدرسة.

– أنّ جُلَّ أطروحات النظرية السّياقية، والتي كانت سببا في تجاوز بعض الإشكالات التي عانت منها الدّراسة اللسانية، لها أصول لغوية تعود إلى أعماق الدّرس اللغوي العربي القديم، على اختلاف توجّهاته بخاصة البلاغية والنحوية.

– أنّ علماء العربية القدامىٰ، قد أدركوا مفهوم السّياق بشقيّه، "السياق اللغوي" و"سياق الحال"، فالنحاة والبلاغيين عبّروا عن مفهوم "السّياق اللغوي" بمصطلح "المقال"، وعن مفهوم "سياق الحال" بمصطلح "المقام"، وعليه فإنّ الاعتداء بمفاهيم هذه المصطلحات، لا يتعدىٰ أن يكون وَعْيًا منهم بالوظيفة الدّلالية التي يؤديها كل مصطلح أثناء عملية التحليل اللغوي.

– أنّ البلاغيين حين قالوا "لكل مقام مقال"، و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، وقعوا بذلك على مفهوم المكوّن الاجتماعي، وأنّ النحاة حين قيدّوا شكل التركيب اللغوي بالمقام، كانوا أسبق من المحدثين إدْراكا لمفهوم العلاقات الموقفية.

– أنّ علماء العربية حين أَسَّسُوا لنَظرية النّظم، وقالوا "بمبدأ التعليق"، "ومبدأ التخيير"، أَوْجَدوا مفاهيما هي بالنسبة للعلم الحديث من الكشوفات اللغوية التي توصل إليها رواد المدرسة الإنجليزية بفضل المناهج العلمية المتطوّرة.

– أنّ اعتقاد جون فيرث بأنّ أحدا لم يسبقه في التنظير لمضامين النظرية السّياقية يصدق على صعيدين اثنين:

الأوّل: هو صعيد المصطلحات، حيث صيغت مضامين النظرية السّياقية وفق مصطلحات دقيقة وعبارات مركَّزة، فيتوهم الدّارس المبتدئ، أنّه أمام فيض من المعلومات التي لم يُسْبَق التأسيس لها، وهذا مالم يركّز عليه الدّرس اللغوي القديم –الدقة في ضبط المصطلح– فجاءت مصطلحاته، رغم حملها المفاهيم نفسها،وتعبيرها عن المضامين

ذاتها، بعيدة عن سمات المصطلحات العلمية الحديثة، أمّا **الثـاني** فهو صعيد منهجية الطَّرْحِ، إذ تتميز النظرية السّياقية بمنهجية علمية دقيقة في عرض وتحليل ومناقشة أطروحاتها اللغوية،على خلاف ذلك قام الدّرس اللغوي القديم، وذلك أنّ المنهج السائد خلال تلك الحقبة الزمنية، المنهج المعياري، والذي هو منهج لا يعتمد على المبدأ الكم القائم على استحضار أكبر عدد ممكن من الشواهد.

– أنّ علماء العربية بتناولهم لمضامين النظرية السّياقية رغم اختلاف المصطلحات ومنهجية الطّرح في ذلك، كانوا قد أسسوا عِلْمَ لِسَانياتٍ لم يُعَانِ من مشكلة التحليل اللغوي على المستوىٰ الدّلالي، وعليه كانوا متقدمين عن زمانهم، ومعاصرين لزمان متأخر عنهم بألف سنة أو يزيد.

– أنّ تنظير كلٍّ من الدّرسين –الدّرس اللغوي الحديث، والدّرس العربي القديم– لمفاهيم مشتركة ، وعليه يثبت هذا التنظير الرَّأيَ القائل بتوارث الأفكار بين الأمم خلال حقب زمنية طويلة وإن كانت الكيفيات مختلفة في ذلك.

– أنّ منهج الدّرس اللغوي القديم، والذي لم يبن على أسس علمية في طرح مضامين النظرية السّياقية، قد كشف عن فضل "جون فيرث" في إضفاء صفة العلمية على هذه المضامين، وذلك بعد أن صاغ منها نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء، ولكنها –بلا شك– ستختلف من حيث المنهج والتحليل والتطبيق والمصطلحات.

وفي الأخير، لا يمكن أن ندعي أننا بهذا العمل، قد أزلنا علامة الاستفهام عن الإشكال المطروح فيما يخص علاقة الدّرس اللغوي الحديث بالدّرس اللغوي القديم وذلك أنّ مثل هذا الطّرح اللغوي قد لا تكفيه مثل هذه الوقفة العلمية، بحكم أنّه يشكل محور التقاء الحضارات وتَصادُمِهَا، على الرّغم من أنّا قد سعينا بكل ما أوتينا من جهد في تحقيق تلك الغاية التي طالما شغلت بال الباحثين اللغويين خلال العصر الحديث والتي نأمل من جرّاء تحققها، أن تعود علينا نتائجها بالفائدة المرجوة، والتقييم البنّاء.

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع العربية:

-أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط4، 2000.

- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م.

-أحمد مومن اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2002.

-إدريس مقبول، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا الكتب العالي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن،/ ط1، 2007.

-ابن الأنباري (محمد بن القاسم)، الاضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991.

- تمام حسان:

*اجتهادات لغوية، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

*مناهج البحث في ، دار الثقافة، مصر، 1979.

*اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة،مصر، ط3، 1998م.

-الجاحظ (أبي عثمان عمر بن بحر):

* البيان والتبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، ج2،1.

* الحيوان، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1969م.

-عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2004.

-جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000.

-ابن جني (أبي الفتح عثمان)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

-حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002.

-حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلة في ضوء الناهج المعاصرة، دار وائل ،الأردن، ط1، 2006.

-حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوراته إلى القرن السادس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، السلسلة السادسة، م12، منشورات الجامعة التونسي 1981.

-عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط6، 2003.

-خديجة محمد الصافي، اثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام، القاهرة، ط1، 2001.

-دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دار دججلة، الأردن، ط1، 2007.

-رجب عثمان محمد، مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية والأسلوب، علوم، مجلد 6، عدد4، دار غريب، القاهرة، 2004.

-ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة، ط1، 1424-2005.

-ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981.

-الزمخشري، أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 19...

-الزمخشري، (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

-سامي عياد حنا، شرف الدين الراحجي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

-ابن السراج(أبي بكر محمد بن سهيل)، الأصول في علم النحو، تح: عبد الحسن القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

-السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

-سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال، الوظيفة والنهج، عالم الكتب الحديث، اليرموك، الأردن، ط1، 2005.

-سيبويه، الكتاب.

-سيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى، علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

-شحدة فارع، موسى عمايرة وآخرون، مقدمة في الغويات المعاصرة، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2000.

-صائل رشدي، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.

-صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي، وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1998.

-صالح بلعيد:

* التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الأمام عبد القاهر الجرجان، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1973.

*نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002.

-صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى، حتى نهاية القرن الرابع هجري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

-طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.

-عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

–ابن فارس (أبي احمد بن فارس بن زكريا)، مقايس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

–فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1973.

–فضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

–فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة، النظرية والتطبيق، ط1، 2008.

–عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2002.

–عبد القاهر الجرجاني:

* أسرار البلاغة العربية، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2003.

* دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد عبده، محمد محمود التركيزي الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2003.

–ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الفاضلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2001.

–ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ...

–كريم زكي حسام الدين:

* أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، جريدة المقطم، القاهرة، مصر، ط3، 2001.

* الزمان الدلالي، دراسة نحوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية، دار غريب، القاهرة، ط2، 2002.

-كمال محمد بشر:

* دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1986.

* فن الكلام، دار غريب، مصر، 2003.

-لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط21،

-المبرد (محمد بن القاسم)، المقتضب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيرروت.

-مجمع اللغة والعربية، المعجم الوسيط، مطابع الأقوست، القاهرة، ط3، 1985.

-محمد بدري عبد الجليل، تصور المقام في البلاغة العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

-محمد بركات، حمدي أبوعلي، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، دار وائل، ط1، 2003.

-محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب، القاهرة، مصر، 2006.

-محمد سالم صالح، الدلالة والتقعيد النحوي في فكر سيبويه، دار غريب، القاهرة، ط1، 2008.

-محمد الصغير بناني:

* الدلالة و التقعيد النحوي،

*النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ منن خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط12، 1994.

-محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن، بيروت، لبنان، ط7، 1981.

-محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، مصر، 2001.

-محمد محمد سعد، في علم الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

-محمد يونس علي:

* مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

*المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

-محمود السعران، علم الدلالة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

-مختار عطية التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بن البلاغة و الأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، 2005.

-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005.

-ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دراسة في اتساع النظام والأساليب، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 1996.

-ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

-مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2002.

-نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، تقديم عبده الراجحي، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004.

-عبد النعيم خليل، السياقية بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دراسة لغوية ونحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ط1، 2007.

-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2003.

-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

-ابن هشام، معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997.

-عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية الإسكندرية، ط1، 1999.

-يحي عبابنة، آمنة الزغبي، علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، أربد، الأردن، 2005.

المراجع المترجمة:

-استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 1997.

-أوزوا لديكرو، جان ماري سشايفر، تر: منذر عياشي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007.

-جون لاينير، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، 1987.

-مليكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل، فايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الأردن، ط2، 2000.

15

-روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، عالم اكتب القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

الرسائل الجامعية:

-حورية رزوقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، باب الذكر والدعاء أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2005/2004.

-دليلة مزوز، الاتحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، دراسة تحليلية نقدية، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، بسكرة، 2008/2007.

-فطومة لحمادي، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق، سورة الحجر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2004/2003.

-عالية قري، البني الإفرادية والتركيبية وأثرها في بناء الدلالة الكلية عند "أحمد عبد المعطي حجازي"، من خلال ديوانه "مدينة بلا قلب"، إشراف: لخضر بلخير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم العربية وآدابها، 2007/2006.

مواقع الأنترنت:

محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور النظرية في التوصل إلى المعنى .**http//www.chihab.net**

الفهرس